محمد الحسيني

غرفة السر

" أعلام مجمع اللغة العربية "



نفرو للنشر والتوزيع
٢٠٠٥



الإشراف العام:
محمد الحسينى

المراسلات:
٢١ ش الصناديلى بالجيزة
١٧ ش العطار بالجيزة
تليفون: ٥٧١٢٦١٨
موبايل: ٠١٠٢٣١٣٥٧٩

الموقع الإلكترونى:
www.dar-nevro.i8.com
البريد الإلكترونى:
dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

الكتاب : غرفة السر
" أعلام مجمع اللغة العربية "

المؤلف : محمد الحسينى

الطبعة : الأولى ٢٠٠٥

الغلاف : للفنان / عمر جهان

حضور متميز : معرض الفنان / د. مصطفى يحى

جمع إلكترونى : حسام الدين سعد الدين

رقم الإيداع : ١٥٣٨ / ٢٠٠٥

غرفة السر

" أعلام مجمع اللغة العربية "

محمد الحسيني

الفهرست

تابع الفهرست



بيت الخالدين

غــرفة السر .. تحوى سر الأسرار ، بها كتمان وَجْدِهِ .. إذا لاح لائحٌ، هام وجداً .. لا يدخلها إلا من يكُون به فانياً عن حُبِهِ .

غــرفة الســـر .. تـــرد عليك الصفات بكل التمكن عند الكمال، لا يـــدخلها عارف ولا معروف، إنما يخرج منها عارف بمعروف، يحمل سر الأســـرار فـــي الـــباطن الظاهر، وفى الظاهر الباطن هو الشارد عن كل المـــتع الـــزاهد فـــي كـــل المتع، فيها أهل الباطن بعلم ومعلوم يسلمونك مفاتيح الوحدة والخلود.

فـــي غــرفة الســـر قابلت الخالدين، رحلة مع الزمان، والمكان، تطــوف فــيها فـــي رحـــاب الفكر الإنساني الرفيع لتنال معرفة إنسانية واســـعة وعظيمة منذ القرن التاسع عشر أو بالأحرى في النصف الثاني الـــذي كانت النهضة العلمية تتفتح فيه، وتبحث عن مساراتها في الكتب والصـــحافة والـــندوات، متمـــثلاً ذلـــك، في فروع المجمع المختلفة، في الأعمـــال العلمية والأدبية منذ بداية حياة أعضاء المجمع ومروراً بنضج أفكـــارهم في تلك الحقبة من القرن التاسع عشرة ليخلقوا بذلك حركة من التنوير الحقيقي حتى يومنا هذا.

فـــي غــرفة الســـر .. تـــرحل معهم في الفكر العربي، منذ أقدم عصـــوره حتـــى مـــؤلفات محمـــد عبد الغني حسن، شوقي ضيف، وفي الفلســـفة الإســـلامية مـــن آثـــار ابن سينا حتى مؤلفات إبراهيم مدكور، توفـــيق الطـــويل، لتضم الثقافة الفارسية والتركية من كتب عبد الوهاب

عـزام، حامـد عبد القادر، إلى روائع أحمد السعيد سليمان، وفي ميدان الفقـه القانونـي، من عراقة عبد العزيز فهمي إلى اجتهادات عز الدين عـبد الله، وفـي الـثقافة الإنجليزية من نبع هاميلتون جب، إلى تدفقات مجـدي وهبه، وفي الثقافة اللاتينية من لمحات طه حسين، إلى تحقيقات محمـد عبد الله عنان، وفي الفكر الاجتماعي من مترجمات لطفي السيد، إلى روائع علي عبد الواحد وافي.

يضـم مجمـع اللغـة العـربية بين جنباته مجموعه من الأطباء الأجـلاء أو الأعضاء العلميين الأفذاذ، أو عمالقة التاريخ والجغرافيا، أو فقهـاء الشريعة الغراء، علماً بأن نسبة عضو من الأعضاء إلى تخصص دقـيق لا يصـنعه وصفاً كاملاً صادقاً عملاً بمقولة برتراند راسل، حينما عـرَّف لـنا التخصص الحقيقي بأنه "أن تعرف كل شئ عن شئ، وشيئاً عـن كـل شـئ"، وهذا ما ينطبق على سدنة اللغة فنجد المتخصص في اللغـات الأوربية منها ضليعاً في اللغة العربية، وخبيراً بآدابها، وأساتذة الـتاريخ والجغـرافيا مـن بينهم يجمعون بين تخصصهم وبين كثير من العلـوم الإنسـانية الأخـرى مـثل الأنثروبولوجيا، الاقتصاد، الإحصاء، وزيـنت الـبلاغة كـتب القانون وفنن الأدب، وقد ضرب أساتذة العلوم الطبيعية والرياضية أروع الأمثلة – مع تنوع تخصصاتهم – على تحرى أدق الألفـاظ تعبيـراً عـن الحقائق العلمية التي عرفوها بلغات أجنبية، فكـان إنـتاجهم فـي مصطلحات العلوم صفحة رائعة شائعة في المجال العلمـي، تذكـر بالثـناء للمجمع العظيم الذي يضم بين جنباته من القمم التـي اخـتارتها الدولة لتقيم بها البناء الذي تمثل صرحاً عظيماً، لينضم إلـيه مـن يحـل محل من يفقده المجمع، سداً للفراغ، واستكمالاً للكيان

ليستمر العمل به منذ صدور المرسوم بإنشائه في ديسمبر سنة ١٩٣٢، ونص على أن يؤلف المجمع من عشرين عضواً عاملاً يختارون من غير تقيد بالجنسية من بين العلماء المعروفين أو أبحاثهم في فقه اللغة أو لهجاتهم، وكان عشرة من هؤلاء من المصريين، وخمسة من أبناء الوطن العربي الكبير، وخمسة من المستشرقين، ثم توالت تعديلات القانون حتى وصل العدد إلى العدد الحالي.

ونظراً إلى عمق شخصيات هذا المجمع وإسهاماتهم الجليلة فسوف نتعرض لكل شخصية على حدة.

نتعرض لحياة كل شخصية مُنذ ميلادها، ومروراً بحياتها، تعليمها، ثقافتها، وتخصصها، وعطائها، وجوائزها، وإسهامها في نشاط المجمع وأبحاثها وأعمالها المطبوعة، وغير المطبوعة، حتى نلقي الضوء على قمم المجتمع التنويرية لربط الماضي بالحاضر، وحتى يُفيد الجيل الحديث من معرفة عناصرنا المشرقة والمضيئة في تاريخ الأمة العربية ما لهم وما عليهم بحيادية كاملة تسهم في مزيد من رقي هذه الأمة.

محمد الحسيني

القاهرة فى ٢٠٠٤/١٢/١

عبد العزيز فهمي

الرجل الذي حاول تغيير الحروف العربية

عبد العزيز فهمي

تقـدم إلـى مجمع اللغة العربية باقتراح في سنة ١٩٤٣ رأى أنه السـبيل لتيسـير الكـتابة العـربية وجعلها صالحة لضبط النطق، وهو اسـتبدال الحـروف اللاتينـية بالحروف العربية، وكان هذا الاقتراح رداً علـى مـا اقتـرحه علي الجارم من وضع زوائد وعلامات للدلالة على الحـركات تقـوم مقـام الشكلات؛ أي توضع بدلاً من الفتحة، والضمة، والكسـرة، والسكون. وقد لاقى اقتراحه معارضة عامة تمثلت فيما أدلى بـه الكثير من أعضاء المجمع من آراء وأفكار جعلت من الاقتراح فكرة لا سـبيل إلى قبولها، وكان أساس المعارضة لهذا الاقتراح أنه يريد من أعضـاء المجمـع نـبذ الكتابة بالعربية وأن يعيدوا كتابة التراث العلمي والأدبـي للأجيال اللاحقة، إلا أنه استمر في ذلك وردّ على معارضيه في هـذا الاقتـراح بأن وضع في سنة ١٩٤٤ كتاباً من ٨٦ صفحة بعنوان "الحـروف اللاتينية لكتابة العربية" وضح فيه البواعث التي جعلته ينادي باقتـراحه، كمـا وضح وجهة نظره في متاعب الكتابة العربية وعجزها في التطبيق السائد عن ضبط الكلام ويسر الاستخدام.

وصـاحب هـذا الاقتـراح هو عبد العزيز فهمي، عَلَم من أعلام السياسـة والقانون والأدب. ولد عبد العزيز فهمي في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٠ بكفـر المصيلحة، بمحافظة المنوفية، وتلقى تعليمه الأول، وحفظ القـرآن بـبلدته ثـم جوّده، ثم حفظ كثيراً من متون العلوم بجامع السيد الـبدوي بطـنطا، ثـم بعد ذلك التحق بمدرسة الجمالية الابتدائية وتحول

مـــنها إلـــى مدرسة طنطا الابتدائية، وبعد أن أتم تعليمه الابتدائي التحق بمدرســـة طـــنطا الـــثانوية وكان ذلك في عام ١٨٨٤، ثم انتقل منها في العـــام التالي إلى المدرسة الخديوية بالقاهرة كان ذلك بعد إلغاء الإنجليز المـــدارس الـــثانوية بالأقاليم، إلا أنه لم يقض بها سوى عام واحد تقدم بعـــده لامـــتحان القـــبول بمدرسة الحقوق، وفي السنة النهائية بمدرسة الحقـــوق، ولـــم يـــبق على الامتحان سوى بضعة أشهر، التحق بوظيفة متـــرجم بـــنظارة الأشـــغال، تَخَرَّج في مدرسة الحقوق سنة ١٨٩٠، ثم تقلـــب بعـــد ذلـــك في عدة وظائف فاشتغل معاون إدارة بمدينة الدقهلية، وهـــي وظـــيفة كانـــت فـــي مراكـــز الشرطة، يشغلها موظفون مدنيون يساهمون في أعمال ضبط الشرطة، ثم عمل بعد ذلك كاتباً بمحكمة طنطا الجـــزئية، ثـــم رقـــي ونقـــل عضـــواً بنيابة إسنا، ثم عضواً بنيابة نجع حمـــادي، فنـــيابة بنـــي ســـويف حـــيث التقى هناك بزميله في المدرسة الخديـــوية، أحمـــد لطفـــي السيد، حيث اتفقا على إنشاء "جمعية سرية" غرضـــها تحرير البلاد من الاحتلال البريطاني، ثم عين في سنة ١٨٩٧ وكـــيلاً للمستشار القضائي بديوان الأوقاف وظل هناك حتى سنة ١٩٠٣، حيـــنها فضّل أن يعمل بالمحاماة، على الفور قدم استقالته، ثم فتح مكتباً بمـــيدان العتـــبة الخضـــراء بالقاهرة، ثم استمر في مهنة المحاماة حتى انـــتخب نائـــباً عـــن قويسنا في الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣، وعقب انتهاء الحرب العالمية الأولى كان من أعضاء الوفد المصري الذي أنابه الشـــعب المصـــري في سنة ١٩١٨ للسعي في استقلال مصر. كان ذلك بـــزعامة ســـعد زغلول، وكان عبد العزيز فهمي أحد الثلاثة الذين ذهبوا عقـــب انـــتهاء الحرب سنة ١٩١٨ إلى دار الحماية للمطالبة بحق مصر

فــي الاســتقلال، وهم: سعد زغلول باشا، ومحمد شعراوي باشا، وعبد العزيــز فهمي باشا، كما شارك سعد زغلول، ومحمد فريد، والشيخ عبد العزيــز جــاويش، وقاســم أمــين، وحفني ناصف، وغيرهم في إنشاء الجامعــة المصرية، وأتاحت له فترة العمل بالمحاماة المشاركة في الحياة السياســية، فقــد تولــى فــي أوائــل سنة ١٩٢٥ رئاسة حزب الأحرار الدســتوريين خلفاً لعدلي يكن باشا الذي آثر حياة الهدوء، كما أنه اختير وزيــراً للحقانية (العدل) في وزارة أحمد زيوار باشا، وظل يشغل رئاسة الحــزب إلــى أن حــدث الائتلاف بين الأحزاب المصرية، فكانت فرصة ســانحة لاعتزاله السياسة وقدم على أثرها استقالته من رئاسة الحزب، وعــدل عــن السياسة ليتفرغ لمهنته الأصلية وهي المحاماة، وقد اختير ســنة ١٩٢٨ لــيكون رئيســاً لمحكمة الاستئناف، وظل بها حتى استقال ســنة ١٩٣٠، ثم عين في العام نفسه رئيساً لمحكمة النقض، ومكث بها إلى أن ختم حياته القضائية رئيساً لتلك المحكمة.

ومــن آثاره أنه ترجم عن الفرنسية: "مدونة جوستنيان في الفقه الرومانــي" وتتــبعها ملاحــق غن نظام للمواريث وضعه جوستنيان، ثم بعض قواعد وتقارير فقهية رومانية وأخلاقية.

اختيــر عبد العزيز فهمي لعضوية المجمع في سنة ١٩٤٠، وفي المجمــع كانــت لــه أنشطة متعددة وكثيرة؛ فاشترك في لجنة الأصول، ولجــنة الاقتصاد، ولجنة القانون، ولجنة ألفاظ الحضارة الحديثة، ولجنة اللهجات ونشر النصوص القديمة.

عــاش عــبد العزيز فهمي حوالي ثمانين عاماً، إذ توفي في عام ١٩٥١ بعــد أن خــاض خــلال أعوامه الثمانين ميدان السياسة، وجَابَه

أحـــداثها، وشـــارك فـــيها، إلى أن جذبته العزلة فنأى بجانبه عن معترك السياسة، وعكف على العلم والأدب والقانون ونظم الشعر.

كـــان – رحمه الله – عنيفاً إذا خاصم، وكان رقيقاً حلواً إذا أحب، وكـــان وفـــياً كأعـــذب وأقـــوى ما يكون الوفاء، مثقفاً في اللغة والدين، عمـــيق الـــثقافة مؤمناً بهذا أشد الإيمان، مترف الذوق إلى أقصى حدود الترف.

كـــان قـــوياً عنيفاً مكافحاً في حياته السياسية، وهو يقف مواقفه المشـــهودة في الجمعية التشريعية، ثم وهو يذهب ثالث ثلاثة إذ هم أمام المعـــتمد البريطانـــي يطالـــبون باســـتقلال مصر، ثم وهو يثور مع سعد زغلـــول، ثـــم وهو يثور على خصوم سعد، ثم وهو يثور على السياسة كلهـــا ويعلـــن فـــي جـــد وصرامة أنه يكفر بآلهة التاريخ، كما كان قوياً وعنـــيفاً مكافحـــاً، في حياته الأدبية والفكرية يوم نادى أن تكون الكتابة بالحـــروف اللاتينـــية، ويوم ثار على مبدأ تعدد الزوجات، ويوم نفر ممن قالـــوا إن القانـــون الروماني مأخوذ من الفقه الإسلامي، فعكف في آخر حـــياته علـــى الكـــتابة في القانون الروماني وهو أجف مادة في القانون ولعـــل أبرز ما كان يميزه أنه كان يفكر بعقله وقلبه، بل لعله كان يخضع عقلـــه لقلبه وهذا ما جعله قريباً إلى الكثير من الناس، فإن أرستقراطية العقـــل تـــبعد ذا العقـــل الكبير عن الناس، أما أرستقراطية القلب فتدنيه منهم.

أحمد لطفي السيد

الرجل الذي رفض أن يكون رئيساً للجمهورية



أحمد لطفي السيد

كـــان أحد رواد الديمقراطية في مصر، رفض حكم الإنجليز وتبعية الأتـــراك. ورأى فـــي العســـاكر حـــلاً لحال مصر قبل الثورة. وبعد قيام الـــثورة، وبعـــد نجاحهـــا، وفي سنة ١٩٥٤، أوفد له الزعيم جمال عبد الناصـــر الصـــاغ لطفـــي واكـــد أحد الضباط الأحرار، وكان من أقاربه، يعـــرض عليه ترشيحه لرئاسة الجمهورية، رفض ذلك الترشيح، فأرسل لـــه الزعيم جمال عبد الناصر الصحفي الكبير مصطفى أمين، والذي كان يعلـــم أنه صديقه، ذهب مصطفى أمين إلى منزله بمصر الجديدة وناقشه فـــي ذلـــك الأمـــر فرفض أيضاً وقال له: هذه الثورة قامت بها العساكر، ويجـــب أن يكـــون رئيس الجمهورية عسكرياً، وما دام عبد الناصر قاد الـــثورة فـــيجب أن يرأســـها، ولســـت أقبل أن أكون طرطوراً في رئاسة الجمهـــورية، حيـــنما أقـــبل سيضعونني في السجن، إنني أفضل أن أبقى جالســـاً على الكرسي الذي أجلس عليه الآن في مكتبي بالمجمع اللغوي، وأنهي حياتي بطريقة طبيعية على أن تُنهَى حياتي بطريقة غير طبيعية.

كـــان رجـــلاً يعـــيش في المستقبل، يقبل الحقائق كما هي، فعندما أصـــدر قاســـم أمين كتابه عن تحرير المرأة قاطعه الناس، وكان هو من القلائـــل الـــذين وقفـــوا إلى جانب قاسم أمين، وهو أول من أدخل الفتاة المصـــرية إلى الجامعة في غفلة من الحكومة، وكان ذلك حينما اتفق مع الدكـــتور طه حسين عميد كلية الآداب والدكتور علي إبراهيم عميد كلية الطـــب والدكـــتور كامـــل مرســـي عميد كلية الحقوق أن تدخل الطالبات

المصــريات إلـــى الكلــيات فـــي السر، بغير ضجة أو إعلان، ولم يتنبه الشعب أن الفتاة المصرية قد دخلت إلا بعد ١١ سنة.

ذلــك هــو أحمد لطفي السيد المولود في قرية "برقين" من أعمال مركــز السنبلاوين، بمحافظة الدقهلية، حين بلغ الرابعة من عمره أُرسل إلـــى كتّاب برقين، ومكث به ست سنوات تعلم في أثنائها القراءة والكتابة وحفــظ القــرآن الكــريم، ثم التحق من السنة الثانية بمدرسة المنصورة الابتدائـــية والتي كان ناظرها في ذلك الوقت أمين سامي باشا، حتى نال الشـــهادة الابتدائية بعد ثلاث سنوات كان ذلك في سنة ١٨٨٥، ثم التحق بالمدرســـة الخديـــوية بالقاهـــرة ونال منها شهادة الدراسة الثانوية سنة ١٨٨٩، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة الحقوق.

وبعـــد أن أتم دراسته القانونية سنة ١٨٩٤ عين كاتباً في النيابة بالقاهـــرة، ثـــم ســـكرتيراً للنائب العمومي. ثم منتدباً للنيابة ببني سويف حـــيث التقـــى بصـــديقه عبد العزيز فهمي وكيل النيابة، وهناك وفي تلك المديـــنة شـــرع الـــرجلان يفكـــران طويلاً في حالة مصر، وانتهى بهما التفكيـــر إلـــى إنشـــاء "جمعية سرية" غرضها تحرير البلاد من الاحتلال البريطانـــي. وفـــي ذات يـــوم كـــان لطفـــي السيد بالقاهرة فلقيه الزعيم الوطنـــي مصطفى كامل وقال له: إن الخديوي عباس يعلم كل شيء عن الجمعـــية الســـرية وأغراضها، وأظن أنه لا تنافي بينها وبين أن تشترك معـــنا فـــي تأليف حزب وطني تحت رياسة الخديوي، فوافق لطفي السيد علـــى ذلـــك واستأذن له مصطفى كامل في مقابلة الخديوي، وتحدثا معاً فـــي أغـــراض الحزب الذي يراد تأليفه، وطلب منه الخديوي السفر إلى سويســـرا لكـــي يكتســـب الجنسية السويسرية لأنها لا تكلف الراغب إلا

الإقامـــة ســـنة واحـــدة ثـــم يعود إلى مصر ليحرر جريدة تقاوم الاحتلال البريطاني فلا يستطيع الاحتلال أن يحول دون ذلك.

اجـــتمع لطفـــي السيد ومصطفى كامل وغيرهما بمنزل محمد فريد بـــك، وتـــم تألـــيف الحزب الوطني كجمعية سرية رئيسها الخديوي، ثم ســـافر لطفـــي السيد إلى سويسرا، وبعد أن عاد إلى مصر وجد الخديوي غاضـــباً علـــيه لأن الأســـتاذ الإمام الشيخ محمد عبده كان قد زار جنيف أثـــناء مقامـــه بهـــا واتصل به، ومع هذا قدم لطفي السيد إلى الخديوي تقريـــراً دوَّن فـــيه أبحاثـــه السياسية وتتلخص في أن مصر لا يمكن أن تســـتقل إلا بمجهـــود أبـــنائها، وأن المصلحة الوطنية تقضي بأن يرأس الخديوي حركة شاملة للتعليم العام.

عـــاد لطفـــي الســـيد بعد ذلك إلى نيابة الفيوم، ثم انتقل إلى نيابة مـــيت غمـــر، ثـــم إلى نيابة المنيا، وفي سنة ١٩٠٥ استقال من النيابة لخـــلاف فـــي الـــرأي القانوني بينه وبين النائب العمومي (كربيت بك)، فاشـــتغل بالمحامـــاة مع صديقه عبد العزيز فهمي. ثم عمل بالتحرير في جريدة "الجريدة" سنة ١٩٠٧.

وبعـــد ظهـــور "الجـــريدة" ببضعة أشهر تألف "حزب الأمة" وكان أســـبق الأحزاب المصرية كلها إلى الظهور واختير لطفي السيد سكرتيراً عامـــاً لـــه، وفـــي سنة ١٩١٥ عاد لطفي السيد إلى الوظائف الحكومية فعـــين رئيساً لنيابة بني سويف، ثم مديراً لدار الكتب، ثم استقال من دار الكـــتب في نوفمبر سنة ١٩١٨ ليشترك في تأليف "الوفد المصري" الذي تولـــى قـــيادة الـــبلاد في ثورة ١٩١٩، ثم عاد ثانية إلى دار الكتب بعد الخـــلاف الـــذي وقـــع بين سعد زغلول رئيس الوفد، وعدلي يكن، وأخذ

يشـــتغل بدار الكتب وبالجامعة المصرية القديمة التي كان وكيلاً لها، حتى صـــدر مرســـوم بتعيينه مديراً للجامعة المصرية بعد أن أصبحت جامعة حكومـــية، وفـــي سنة ١٩٢٨ اختير وزيراً للمعارف العمومية حتى سنة ١٩٢٩، وعمـــل بعـــد ذلـــك مديراً للجامعة عدة مرات كان آخرها سنة ١٩٤١. كمـــا اختيـــر وزيراً للدولة سنة ١٩٣٧، ثم الداخلية والخارجية بعـــد ذلك. وقد حصل أحمد لطفي السيد باشا على جائزة الدولة التقديرية للعلـــوم الاجتماعـــية ســـنة ١٩٥٨ تكـــريماً من الدولة لجهوده في هذا الإطار.

آمـــن لطفـــي الســـيد بحاجـــة مصر إلى مجمع لغوي، وكان أحد العاملـــين علـــى إنشـــاء المجمـــع اللغـــوي المصري الذي أُنْشيء سنة ١٩١٦، وخصـــص لأعضـــائه قاعة في دار الكتب – التي كان هو مديراً لهـــا فـــي ذلك الوقت – يجتمعون فيها، وقد اختير كاتب سره، ولإيمانه بفكـــرة المجمـــع حرص المجمع العلمي العربي بعد إنشائه على أن يكون أحـــد أعضائه المراسلين كما حرص على ذلك أيضاً مجمع اللغة العربية فاختير عضواً عاملاً به سنة ١٩٤٠، وتولى رئاسته خلفاً للرئيس الأول محمـــد توفـــيق رفعت باشا سنة ١٩٤٥ وظل رئيساً للمجمع حتى توفي، كما أن المجمع العلمي العراقي بعد إنشائه اختاره عضواً مراسلاً له.

اســـتأنف لطفي السيد جهوده المجمعية داخل مجمع اللغة العربية، فاشـــترك فـــي كثيـــر مـــن اللجـــان مـــنها لجنة الأدب، ولجنة اللهجات والنصـــوص القديمـــة، ولجـــنة ألفاظ الحضارة، ولجنة العلوم الفلسفية والاجتماعـــية، ولجـــنة الأصول، كما اشترك في النواحي الإدارية بوصفه رئيســـاً للمجمع، وكانت له اقتراحات قيمة مثل اقتراح جمع المصطلحات

الفنـــية التـــي يســـتخدمها العمـــال في مصانعهم، والتجار في متاجرهم وأســـواقهم، والـــزراع فـــي مزارعهم، حتى إذا اجتمعت للمجمع طائفة صـــالحة مـــن هذه المصطلحات، نظر في وضعها في معجم بعد صياغتها وفق الأوزان العربية القديمة.

تـــرك لطفـــي الســـيد الحياة في سنة ١٩٦٣ بعد أن قال لطبيبه الخاص الدكـــتور سليمان عزمي باشا أنا أشعر أنني سأموت في هذا العام. أسلم الـــروح بعـــد أن دخل التاريخ من عدة أبواب، وقُيِّد في سجل الخلود حيّاً وميـــتاً، فقـــد وقـــف نفسه على الإصلاح والتجديد، واحد وتسعون عاماً قضـــاها يفكـــر ويدبـــر، يبحث ويدرس، يدعو ويعلم، يطبق وينفذ، فكان يـــرى أن طبـــيعة الأشياء تأبى الطفرة، وأن التطور سُنَّة أكيدة من سنن الحـــياة، لا يخرج عليها فرد ولا مجتمع، كان همه أن يلائم بين الماضي والحاضـــر، وأن يعـــدهما للمستقبل، ويؤهلهما لسير الحياة الزاخر، وقلّ أن نـــرى شيخاً اقترب من الشباب قربه، واتسع صدره للجديد مثله، فلم يكـــن تطـــورياً فحســـب، بل تقدمياً أيضاً، يعتقد أن الإنسانية سائرة إلى الأمـــام دائمـــاً، وأن جـــيل اليوم خير من جيل الأمس، وأن ثلاثة أجيال كفـــيلة بـــأن تصـــعد بالأمة إلى مصافّ الأمم الراقية. على هذا الأساس قامـــت دعوته الإصلاحية، على أسس كلها تفاؤل وأمل ورجاء، فدعا في ثقـــة وطمأنيـــنة، ووجّـــه في لين وهوادة، وخاطب العقل قبل أن يخاطب العاطفـــة، لـــم يَـــبْدُ علـــيه قطّ أنه يستعجل الخُطا، أو يكلف الأشياء ضد طباعها، أو يثيرها شعواء.

ولـــم تســـلم دعـــوته من النقد والمعارضة، ولكن مسلكه الهادئ خفف من غلواء ناقديه، ووضعه موضع الإجلال لدى مؤيديه ومعارضيه

علـــى الســـواء، والاعـــتدال عنده من أسمى الفضائل، اعتدال في الرأي والقول والعمل.

وقديماً قال أرسطو إن "الفضيلة وسط بين طرفين"

رحم الله من كان وسطاً بين طرفين.

طه حسين

عميد الأدب العربي



طه حسين

كأنـــه لا يـــزال حاضراً بيننا بعقله وضميره، لا بل ببدنه النحيل، حـــاملاً رايـــة العقلانية والتغيير، يرى ما نرى وما لا نرى، مهاجراً في الضمير، أديباً كبيراً، ومفكراً حرّاً، وناقداً خبيراً، فتح للأدب العربي آفاقاً عالمية، فاستحق أن يكون له عميداً.

يقول عميد الأدب العربي: إننا لا نحيا لنكون سعداء، أحب أن أكون واضحاً جليّاً، وأن أقول للناس ما أريد أن أقول دون أن أضطرهم إلى أن يتأولوا ويذهبوا مذاهب مختلفة في النقد والتفسير والكشف عن الأغراض التي أرمي إليها، أريد أن أريح الناس من هذا اللون من ألوان التعب، وأن أريح نفسي من الرد والدفع والمناقشة فيما لا يحتاج إلى مناقشة، فلنسلك مسلك المحدثين من أصحاب العلم والفلسفة فيما يتناولون من العلم والفلسفة، أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه (ديكارت) للبحث عن حقيقة الأشياء في أول هذا العصر الحديث.

هذا بعض من كثير مما قاله طه حسين المولود في عزبة "الكيلو" وهي إحدى قرى مركز مغاغة بمحافظة المنيا في عام ١٨٨٤. وبعد أن حفظ القرآن وألمّ بمبادئ العلوم الدينية والعربية، أُرْسِل إلى القاهرة ليتلقى العلم في الأزهر الشريف وكان ذلك في عام ١٩٠٢، فحضر دروس المبتدئين على مدار ثلاث سنوات، وفي المدة ما بين سنتي ١٩٠٥ و ١٩٠٧ حضر دروس المتوسطين في الفقه والنحو، وفي هذه

السنة الأخيرة بدأ الدروس مع الطلبة المتقدمين، إلا أنه في سنة ١٩٠٨ أخذ يتبرم بنظام الأزهر، فلم يكن يحضر دروس الفقه على الشيخ بخيت، ودروس الأدب على الشيخ سيد المرصفي، ودرس البلاغة أحياناً على الشيخ عبد الحكيم عطا، وحدثت مناقشة بينه وبين أحد الأساتذة، اعتبرها شيخ الأزهر – في ذلك الوقت – الشيخ حسونة النواوي، أمراً مخالفاً لتقاليد الأزهر، فَفَصَلَهُ. وحدث أن توسط في الأمر الأستاذ أحمد لطفي السيد لدى الشيخ حسونة فأعاده – كان معه في هذه الحادثة زميلاه: أحمد حسن الزيات ومحمود حسن زناتي – وفي العام نفسه افتتحت الجامعة المصرية القديمة فحضر دروسها، ثم أعد رسالة للدكتوراه عنوانها "ذكرى أبي العلاء" نوقشت في ٥ مايو سنة ١٩١٤، وهي أول رسالة ينال صاحبها إجازة علمية من هذه الجامعة، فقررت الجامعة إيفاده في بعثة إلى فرنسا، فسافر في نوفمبر سنة ١٩١٤، والتحق بجامعة مونبلييه، إلا أنه عاد إلى مصر في السنة التالية نظراً لظروف مالية للجامعة المصرية، ولكن الأزمة المالية حُلَّت فعاد إلى فرنسا مرة أخرى في ديسمبر سنة ١٩١٥، والتحق هذه المرة بكلية الآداب بجامعة باريس وحصل على درجة الليسانس في الآداب من السوربون في سنة ١٩١٧، ثم على الدكتوراه في يناير سنة ١٩١٨ وكانت عن "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية"، ثم حصل بعدها على دبلوم الدراسات العليا في مايو – يونيو سنة ١٩١٩.

عاد طه حسين إلى مصر في أكتوبر سنة ١٩١٩ فعين أستاذاً للتاريخ القديم (اليوناني والروماني) بالجامعة واستمر في هذا المنصب حتى تولت الدولة إدارة الجامعة في سنة ١٩٢٥، ثم عين أستاذاً لتاريخ

الأدب العربي في كلية الآداب، وفي سنة ١٩٢٨ عين عميداً لكلية الآداب، إلا أن الظروف السياسية اضطرته إلى الاستقالة يوم تعيينه، ثم اختير عميداً سنة ١٩٣٠، وفي ٣ مارس سنة ١٩٣٢ قرر وزير المعارف نقله إلى وزارة المعارف فنفذ النقل، ولكنه رفض العمل، وكان سبب ذلك إصرار الدكتور طه على احترام قوانين الجامعة في أمر أراده الوزير، وخلاصة الأمر أنه كان يراد منح درجات الدكتوراه الفخرية لوزراء لم يكن لهم في رأي الدكتور طه حق هذا التكريم.

وحدثت ضجة في الصحافة وفي الجامعة، فتقرر في ٢٩ مارس إحالته على التقاعد فلزم بيته يكتب في جريدة السياسة اليومي، ثم تولى رياسة تحريرها في أثناء غيبة الدكتور محمد حسين هيكل. كما اشترك في سنة ١٩٣٣ في الكتابة في جريدة "كوكب الشرق" إلا أنه اشترى امتياز جريدة "الوادي" وتولى الإشراف على تحريرها حتى ديسمبر ١٩٣٤ حين أعيد إلى الجامعة أستاذاً في كلية الآداب. ثم انتخب في مايو سنة ١٩٣٦ عميداً للكلية، واستمر يشغل هذا المنصب حتى مايو سنة ١٩٣٩، وفي آخر ذلك العام انتدب مراقباً للثقافة في وزارة المعارف مع بقائه يلقي دروساً في كلية الآداب، واستمر حتى فبراير سنة ١٩٤٢ حين عُيِّنَ مستشاراً فنيّاً للوزارة، ثم انتدب مديراً لجامعة الإسكندرية في أكتوبر ١٩٤٢ – في أول نشأتها – واستمر في هذين المنصبين حتى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٤ حين أحيل على التقاعد حيث ثبت من ملف الدكتور طه حسين أنه من مواليد سنة ١٨٨٩ وذلك راجع إلى عدم انتظام أو سلامة تسجيل الميلاد في الريف، وفي ١٣ يناير سنة ١٩٥٠ عين وزيراً للمعارف في الوزارة الوفدية، واستمر

في منصبه هذا حتى أُقيلت الوزارة في ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢. وقد نهض الدكتور طه حسين بالتعليم في هذه المدة نهضة مباركة، فقد قرر مجانية التعليم الثانوي والفني وأنشأ كثيراً من المدارس، وأعلن أن التعليم ضروري للناس ضرورة الماء والهواء.

ولقد لاقى المرحوم الدكتور طه حسين التقدير اللائق به، فمنحته فرنسا وسام اللجيون دوني من طبقة جرادند أوفيسيه ونال الدكتوراه الفخرية من جامعات: ليون، ومونبلييه، وروما، وأثينا، ومدريد، وأكسفورد. واختير عضواً في عدة هيئات، فكان عضواً بالمجمع العلمي المصري، وبالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وعضواً مراسلاً للمجمع العلمي الفرنسي والمجمع العلمي الإيطالي، وعضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية منذ سنة ١٩٤٠، وانتخب نائباً لرئيس المجمع سنة ١٩٦٠، وهو أول من شغل هذا المنصب، ثم انتخب رئيساً للمجمع سنة ١٩٦٣ خلفاً للمرحوم الأستاذ أحمد لطفي السيد، وظل في هذا المنصب إلى أن لاقى ربه في سنة ١٩٧٣ بعد قضاء ٨٩ عاماً من العبقرية كان من إنجازاتها على سبيل المثال وليس الحصر: ذكرى أبي العلاء (رسالة الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة)، نظام الأثينيين تأليف أرسطو طاليس (ترجمة)، قادة الفكر، حديث الأربعاء (٣ أجزاء)، الأيام (٣ أجزاء)، في الشعر الجاهلي (وغير اسمه في الطبعات الجديدة إلى "في الأدب الجاهلي"). حافظ وشوقي، الحياة الأدبية في جزيرة العرب، مستقبل الثقافة في مصر، مع أبي العلاء في سجنه، فصول في الأدب والنقد، تاريخ الأدب العربي، دعاء الكروان، من أدبنا المعاصر، الوعد الحق، ألوان، شجرة البؤس، الحب

الضائع، من حديث الشعر والنثر، على هامش السيرة (٣ أجزاء)، مرآة الضمير الحديث (وقد طبع بعد ذلك بعنوان "نفوس للبيع")، علي وبنوه، شرح لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء، عثمان، مرآة الإسلام، الشيخان (أبو بكر وعمر بن الخطاب).

وقد ترجم عدد من كتبه إلى عدة لغات "الأيام" مثلاً ترجم إلى الإنجليزية، والفرنسية، والعبرية، والصينية، والروسية، والفارسية، والإيطالية، والألمانية، والمجرية.

و "على وبنوه" ترجم إلى الفارسية والأردية، كما كتبت عنه عدة كتب بعد وفاته، من أهمها الدراسة التي أعدها الدكتور حمدي السكوت عنه وصدرت في سنة ١٩٨٢ في سلسلة الأدب المعاصر.

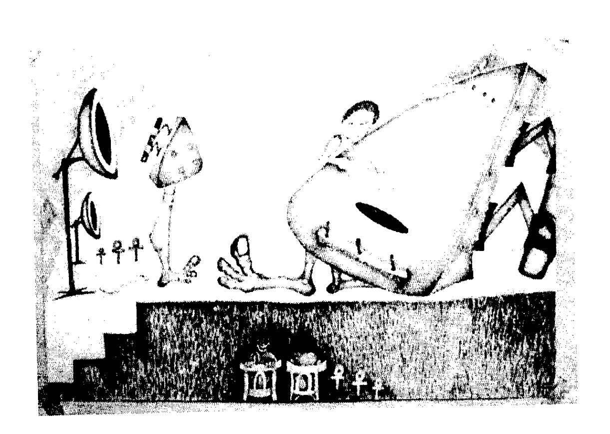
كما كافح طه حسين أيضاً في ميدان الصحافة، وكانت صلته بها قديمة العهد ترجع إلى أوائل هذا القرن. فقد نشأ فيها على أيدى رائدين عظيمين هما: عبد العزيز جاويش ولطفي السيد، فجمع بين التطرف والاعتدال ولعله كان إلى التطرف أميل، ففي أول الأمر كتب في "مجلة الهداية" بتوجيه من عبد العزيز جاويش الذي وكل إليه أمرها، وشجعه على ما تتوق إليه نفسه من نقد جريء وجدل عنيف. واضطر رائده هذا إلى أن يهجر مصر على غير انتظار، فلجأ إلى رائده الثاني، وأفاد منه كثيراً. والحق أن (الجريدة) على قصر عمرها كانت مدرسة كبرى تخرج فيها طائفة من أعلام الفكر والقلم، وكان لها أثرها في اللغة وأسلوب الكتابة المعاصر فقد أتمت ما بدأه (رفاعة الطهطاوي) و(محمد عبده) من التخلص من السجع والجناس والمحسنات اللفظية، والتي تخرج فيها طه، وهيكل، وعزمي، ومنصور فهمي، والزيات،

الذين كانوا قدوة في الأداء الفني السائغ السهل.

وأخيراً هو الناقد الذي استطاع أن يرسم للأدب طريقه الصحيح، وأن يتخذ سلماً للقيم جديداً سامقاً، وأن يوجه الأدب والنقد نحو الاتجاه الأصيل الخصب الحي الذي من شأنه أن يدفع الإنتاج العربي في صدر الركب العالمي، وأن يرفعه إلى المستوى الإنساني؛ ولهذا يعتبر طه حسين الموقظ الأكبر للعقل العربي.

الزيات

الذي اختار صخرة المعرفة



الزيات

تــروي الحكايــات القديمــة أن مــارداً شريراً كان يحرس جسراً ضــيقة لعــبور المشــاة يفصــل بين منطقتين إحداهما للسكن والأخرى للعمــل، ولم يكن – المارد – يسمح لأحد بعبور الجسر قبل أن يجيب عن ســؤاله، ولأن الجسر كان الوسيلة الوحيدة لعبور ذلك النهر، فقد أصبح المــارد هــو المــتحكم في عملية العبور تماماً، وفي يوم جاء شاب إلى الجســر وتقــدم بضع خطوات، فخرج عليه المارد وقال له: لن تعبر قبل أن تجــيب عن السؤال: أيهما أفضل: جوهرة البصيرة أم صخرة المعرفة ؟ قــال الشــاب، دون تردد: بل صخرة المعرفة؛ لأنه مع صخرة المعرفة يمكــنك أن تكســب الكثيــر علــى طول المدى. عندما سمع المارد هذه الإجابــة أطلــق صــرخته الأخيرة، فراح الفضاء يردد صداها، والمارد يتلاشــى إلى الأبد. في نفس المكان، وبعد اختفاء المارد أقام ذلك الشاب كشكاً لجمع الرسوم من العابرين فأصبح غنيّاً.

كــان هــذا الشاب هو أحمد حسن الزيات ،وكانت صخرة المعرفة هي مجلة الرسالة، وكان ذلك المارد هو الجهل.

المــرحوم أحمــد حسن الزيات أحد أدباء مصر المرموقين الذين يعتــز بهم الوطن العربي، وكان له في خدمة الأدب حقبة متميزة طولها عشــرون عاماً في مجلة الرسالة، وكان له في خدمة اللغة حقبة متميزة طــولها عشرون عاماً في مجمع اللغة العربية. وكان له في خدمة اللغة والأدب والــثقافة العــربية – فــي أوســع إطار لها – حقبة تبلغ خمساً

وســـتين ســـنة مـــباركة ملأ فيها بضعة آلاف من الصفحات التي تضيء بأفكاره، وتشرق بأسلوبه، وتشعّ بإخلاصه.

ولـــد المـــرحوم الـــزيات في الثاني من شهر إبريل سنة ١٨٨٥ (ويقـــال أن هـــذا الـــتاريخ ليس بالتاريخ الحقيقي إنما التاريخ الحقيقي يســـبق التاريخ المشهور بسنتين، ويبدو أن عدم اهتمام الزيات بتصحيح الـــتاريخ تصـــحيحاً رســـمياً يرجع إلى أنه لم يكن موظفاً حكومياً، بل لم يقبل ما عُرض عليه من وظائف الحكومة).

كـــان مـــولده هذا في كفر دميرة القديم بمحافظة الدقهلية، ودخل الكـــتّاب وهـــو فـــي الخامسة من عمره، وحفظ القرآن وهو في الحادية عشـــرة، ثـــم جوّده ببعض القراءات السبع، والتحق بالأزهر قبل بلوغه الثالثة عشرة من عمره. وعلى مدى نحو عقد من الزمان كان عمله مع زميلـــيه في الدراسة طه حسين ومحمود الزناتي موزعاً بين عدم انتظام علـــى الدراسة التقليدية في الأزهر، والعكوف على قراءة الأدب، والتردد علـــى الجامعـــة المصـــرية الأهلـــية التي قامت سنة ١٩٠٧. وتعلم هو وزمـــيله طـــه اللغـــة الفرنسية، وانصرف ثالثهما إلى المكتبات ودكاكين الوراقين.

عمـــل الزيات مدرساً للغة العربية بمدرسة الفرير بالخرنفش نحو ســـبع سنوات، علّم فيها العربية وتعلم فيها الفرنسية، وقد أنصف نفسه – وزمـــيلاً آخر كان معه – بعد مدة من قيامه بعمله في مدارس الفرير، فكـــتب في سنة ١٩٤٢ بمناسبة رثائه لزميل له في التدريس يقول: من الإنصـــاف للحقيقة والتاريخ أن أقول بهذه المناسبة: إن الذي ألف كتابَيْ (ســـفينة الـــنجاة) و(ســـفينة البلغاء) هو الشيخ سيد الشايب، وإن الذي

حــرر كــتاب (بحــر الآداب) ووضع نثره في أجزائه الخمسة ونظمه في هــذا الأســلوب الأخير هو الشيخ أحمد حسن الزيات، وكانا مدرسين فى كلية الفرير.

وفــي ســنة ١٩١٤ انــتقل الأستاذ الزيات للتدريس في المدرسة الإعداديــة (التعلــيم الثانوي) بالظاهر وظل فيها حتى سنة ١٩٢٢، وهو يقــول في وصف هذه المرحلة من حياته: كنا في ذلك نحمل فيمن حملوا أمانــة التعليم في المدرسة الإعدادية الثانوية التي أسسها في حي الظاهر مــن القاهرة المغفور له الشيخ عبد العزيز جاويش؛ ليصلح بها ما أفسد الاحــتلال الإنجليــزي مــن مــناهج التعليم ونظمه، وكان معنا في هذه المدرســة أحمــد زكــي، والكردانــي، والعبادي، والغمراوي، وخلاف، وبــدران، وكامل سليم، وكانوا بعد ذلك من أساطين النهضة الحديثة في وزارة المعارف والجامعة، وأيضاً في مجمع اللغة العربية.

ثم اشترك مع هؤلاء الأساتذة في إنشاء " لجنة التأليف والترجمة والنشــر ". وفي عام ١٩٢٢ اختارته الجامعة الأمريكية بالقاهرة رئيساً للقســم العربــي بها، وفي العام نفسه التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهــرة، فأمضــى عامين بها هنا، وأمضى العام الثالث بباريس حيث أدى امــتحان الليســانس. وفــي ســنة ١٩٢٩ سافر إلى العراق لثلاث ســنوات أســتاذاً للآداب العربية بدار المعلمين ببغداد. وفي سنة ١٩٣٣ أنشــأ أحمــد حسن الزيات مجلة الرسالة، التي ظلت أكثر من ربع قرن تحمل رسالة الفكر العربي في كل مكان في العالم الناطق بالضاد، وكانت مدرســة حقيقية؛ ربّت جيلاً، وأنشأت أدباً، وثقّفت وعلّمت، وقامت على صــفحاتها معــارك النقد والتجديد حتى احتجبت، وقد جزع قراؤها لذلك

أشـد الجـزع، ولكـن الزيات قابل هذا بنفس الإباء الذي كان يشعر به والرسـالة فـي أوجها، فقد كتب يقول: ولو أرادت الرسالة زهرة الحياة الدنـيا لعرضـت ضميرها للبيع، وقلمها للإيجار، ويومئذ تتحول أكداس الـورق فـي مطبعتها العجيبة، من أوراق طبع إلى أوراق نقد. ولكن الله الـذي حـبب في سبيله إلى المجاهد الأول الاستشهاد، وليس في مزوده إلا خضـة مـن سويق، أو قبضة من تمر، حبب إلى الرسالة الجهاد في المـيدان المجـدب المـوحش، ولا عدة لها إلا الصدق والصبر والزهد؛ لتظفر بنصر المجاهد إذا فاز، أو بأجر الشهيد إذا قتل.

لـم يضع الزيات القلم بل تولى رياسة التحرير لمجلة الأزهر عدة سـنوات، واصـل فيها ريادته للأدب، وعنايته باللغة. ودعوته للإسلام. وقـد كـرمته الدولـة بجائـزة الأدب في سنة ١٩٥٣ عن كتابه "وحي الرسـالة". ولمـا عدل قانون جوائز الدولة، وأصبحت جائزة تقديرية، لا عـن كـتاب أو عمل من الأعمال، بل صارت تتويجاً لحياة كاملة، كرمته الدولـة مرة أخرى فمنحته سنة ١٩٦٢ الجائزة التقديرية في الأدب، كما اختارته عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية.

ولا يمكـن بأيـة حـال من الأحوال أن ننسى مساهمة الزيات في أدب الـرواية ولا ريادتـه للأقصوصـة، كـتابة وفناً ونشراً في مجلته " الـرواية " صـنوة الرسالة التي استقلت عنها ثم انضمت تحت جناحها، ولا يمكـن أن ننسـى الرسالة الثانية التي ردت لهفة الأدب والأدباء بين سـنتي ١٩٦٣ و ١٩٦٥، ولا يمكـن أن ننسى آراءه في النقد، وموقعه مـن الشعر الحديث، ومعارضته لما يسمى بالشعر الحر، وحربه للعامية، وتقيـيمه لأدب الجـنس، ولا يمكـن أن ننسى دفاعه عن المرأة. كما لا

يمكننا بأية حال من الأحوال أن ننسى بحوثه حول المجمع، وهي مجلدات محلية التي تعتبر مراجع علمية وثيقة.

ومن إنتاجه العلمي الذي لا ينسى أيضاً: دفاع عن البلاغة، ووحي الرسالة (أربعة أجزاء)، وكتابه في أصول الأدب، وفي ضوء الرسالة، وكتابه تاريخ الأدب العربي. وهذه الكتب أعيدت طباعتها عدة مرات، بل إن تاريخ الأدب العربي طبع أكثر من عشرين طبعة.

ومن مترجماته أيضاً: آلام فرتو (وقد طبع ثماني طبعات) وروفائيل (وقد طبعت تسع مرات). ومنذ التحاقه بالمجمع وهو دائب على العمل في لجانه؛ فقد عمل في: لجنة تيسير الكتابة، ولجنة ألفاظ الحضارة، ولجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم، ولجنة الأدب، ولجنة اللهجات، ولجنة الأصول، ولجنة المعجم الكبير، ولجنة المعجم الوسيط، وكان أحد الأعضاء الأربعة الذين تولوا إخراج طبعته الأولى، وله عدة اقتراحات فنية في توجيه العمل في المعاجم وجلسات المجمع.

رحل أحمد حسن الزيات عن عالمنا في عام ١٩٦٨، ولكن عزاءنا في بقاء (الرسالة) سجلاً أدبيّاً وتاريخيّاً معاصراً لحركتنا الفكرية، بل نجد تلاميذ الرسالة، الذين خطوا خطواتهم الأدبية الأولى على صفحاتها، سادةً للأدب وأعلاماً للفكر والقيم، يواصلون رسالة الزيات في خدمة اللغة والفكر والأدب.



محمد توفيق دياب

خطيب ما بين الثورتين



محمد توفيق دياب

انتهـــى المطـــاف بـــه إلى سجن قضى به تسعة أشهر، فقد قدمته الحكـــومة إلـــى محكمـــة الجنايات بتهمة إهانة الوزراء، فحكمت محكمة الجـــنايات ببــــراءته، وإذا بالحكومة تقدم نقضاً في الحكم، وعرض الحكم علـــى محكمة النقض برياسة عبد العزيز فهمي باشا، فأمر بنقض الحكم وســـجنه ثلاثـــة شـــهور، ولما كان محكوماً عليه قبل ذلك بالسجن ستة أشـــهر مع إيقاف التنفيذ بتهمة إهانة النواب، فقد ضم عبد العزيز فهمي باشـــا الحكمـــين معاً فأصبح محكوماً عليه بتسعة أشهر مع النفاذ. وكان الحكـــم مـــع الشـــغل، ووضع في سجن "قرة ميدان بالقلعة"، ولبس بدلة الســـجن الزرقاء، ونام على الأسفلت، على الرغم من مرضه وتقدمه في السن، ومنع من قراءة الصحف، كما وضعوه في ورشة الترزية، وهناك بـــدأ يتعلم الخياطة واستطاع في تلك المدة أن يصنع طاقية وكان فخوراً بها حتى إنه أخذها معه عند الإفراج عنه، وبعد خروجه استأنف جهاده، كـــأن لـــم يـــؤذ ولم تُمسّ حريته ... إنه محمد توفيق دياب أحد الخطباء المعدودين في العالم العربي الحديث.

ولـــد بسنهوت محافظة الشرقية في سنة ١٨٨٨، وبعد أن حصل علـــى شـــهادة الدراسة الثانوية سافر إلى إنجلترا ليكمل دراسته، واتجه هـــناك إلى الناحية الأدبية، فتزود بزاد عظيم من الأدب الإنجليزي، وبعد أن عـــاد إلـــى مصـــر دعـــي إلـــى إلقاء بعض المحاضرات في الجامعة المصـــرية القديمـــة، ثـــم عمـــل بالصحافة، فشارك في تحرير صحيفة "

السياســة " مــع الدكــتور طه حسين، والدكتور محمد حسين هيكل، ثم أصدر جريدة "الجهاد" وخاض غمار الكفاح السياسي في ميدان الصحافة حقــبة طويلة، واختير لعضوية المجمع سنة ١٩٥٤، وقد قال طه حسين فــي استقباله "إن الذين يؤرخون الآداب فيما بعد، حين يصورون حياتنا الأدبــية بــين الثورتــين، لــن يســتطيعوا أن ينســوا توفيق دياب، لن يســتطيعوا أن يجهلوا اسمك بين الأسماء التي سجلت في التاريخ الأدبي لنفسها ذكراً رائعاً شائقاً".

إن توفــيق ديــاب لــم يكــن غير طاقات إنسانية تفيض جداولها بزاخــر مــن القيم الفكرية. كان محمد توفيق دياب يدرّس مادة "الإلقاء" فــي مدرسة وادي النيل الثانوية، والتي كانت مادة جديدة على التلاميذ، فكــان أســتاذ يوسف وهبي الذي حاول في أول حصة أن يهزأ بالأستاذ ويســخر منه فطرده سنة كاملة. فقد كان كل منهما يرى في الآخر أنه لا يصــلح للإلقــاء، وبعــد سنوات أصبح توفيق دياب أخطب الخطباء في مصر وأصبح يوسف وهبي أكبر ممثل في الشرق!

نشــر أول مقال صحفي من إنجلترا حينما أرسله إلى أحمد لطفي الســيد رئيس تحرير جريدة "الجريدة" وإذا به ينشره في الصفحة الأولى، ومن ذلك اليوم قرر محمد توفيق دياب أن يكون صحفياً.

أنشــأ مجمــوعة من الجرائد منها جريدة "وادي النيل" التى كانت تصــدر فــي مدينة الإسكندرية والتى أصبحت بعد بضعة أيام من أوسع الصحف توزيعاً، فاستدعى محمد محمود باشا زعيم الأحرار الدستوريين ورئــيس الوزارة في ذلك الوقت صاحب الجريدة وأقنعه أن يستغني عن توفــيق ديــاب وإلا ســوف يعطــل الجريدة نهائياً، وفوجئ توفيق دياب

بخطـــاب من صاحب الجريدة في اليوم الثاني بفصله. كما أصدر جريدة "الـــيوم" وهـــي جـــريدة صباحية وفدية أمر إسماعيل صدقي باشا رئيس الوزراء في ذلك الوقت بمصادرتها ثم إغلاقها أيضاً.

اســـتأجر توفـــيق ديـــاب بعد إغلاق جريدة "اليوم"، جريدة أخرى صغيرة هذه المرة أسماها "العلم المصري"، والتي في يوم وليلة أصبحت أوســـع الجرائد انتشاراً في مصر، وبعد يومين أصدر صدقي باشا قراراً بتعطـــيلها، فـــبحث عـــن جريدة أخرى حتى وجد جريدة "الأخلاق" فأمر صـــدقي باشـــا بتعطيل جريدة الأخلاق أيضاً. فقد كان توفيق دياب يكتب ضـــد الديكـــتاتورية ضد الظلم مع العدل، ضد النواب والوزراء بلا خوف أو رحمـــة. لـــم يخـــف الســـجن فقد زاده صلابة، ولم يخف من الديون، استدان أكثر حتى يكمل مشواره الصحفي.

أحـــب زمـــيل دراســـته فـــي إنجلترا كامل حسين الذي كان يجيد الإنجليـــزية بطلاقـــة، وفـــي يـــوم من الأيام عرف أن صديقه له أختاً لم تتـــزوج بعـــد وطلـــب توفيق دياب أن يتزوجها. فسأل كامل حسين أخته التـــي وافقت على الفور، وعلى الرغم من أنه من تعلم في الغرب وطاف بـــبلدانه، إلا أنه لم يتأثر بعادات الغرب وفقاً لبعده بل عاد فلاحاً كما ذهب محافظـــاً علـــى عاداتـــه وتقاليده متمسكاً بها، زارعاً تلك القيم في بناته دون حـــرمانهن مـــن المعرفة. فقد جاء لهن بمدرسة تعلمهن الموسيقى ومدرســـة تعلمهـــن الـــرقص، وأنشـــأ لهن ملعباً للتنس في بيته لكنه لم يســـمح لهن بطلاء الأظافر ولا بلبس القصير من الأزياء، وكان يداعبهن فـــإذا ضحكت إحداهن بصوت مرتفع قال لها: إن البنت المؤدبة لا تضحك ولكنها تبتسم.

كـــان رجـــل ثقافة وفكر، ورجل علم، ورجل أدب، ورجل خطابة، ورجـــل صـــحافة، يقـــول عن الفلاحين: هم وسطاء الله بين أرضه وبين المـــرزوقين الطاعمين من خيراته. أفليس لوسيط الخير الإلهي أن يعيش مـــن خيـــر الله .. ويقـــول: علمتنـــي الحياة أن أزن النجاح بوسائله، لا بثمـــراته، وإنني لأرى الفقير الكريم فأحتفي به حفاوتي بالنفس الفاضلة، وأرى الغنـــي الـــذي كســـب مالـــه عن طريق يأباه الضمير فأزوي عنه وجهـــي أو قلبي كما أزويه عن كومة من الذهب المسروق. هذا بعض ما قالـــه توفيق دياب قبل أن يودع عالمنا في عام ١٩٦٧، رحم الله توفيق ديـــاب صاحب الموقف الجريء الحازم الذي أغضب من أغضب لحساب هذا العرض فعرّض نفسه لما عرضها دون حساب.

هيكل

الذي قال للملك لا





أراد الملك فاروق أن يجرب معه ما جربه مع الآخرين حين قابله إثـر عـودته عام ١٩٤٨ من روما بعد حضور مؤتمر الاتحاد البرلماني الدولـي، لـيقص علـيه ما حدث جرياً على العرف، ولكن، ينتقل الملك بالحـديث إلـى حـوار آخر؛ إذ قال له الملك فاروق: أنت جعلت الناس يقولـون إنك طامع في رئاسة الوزارة. قال للملك: مَن هم هؤلاء الناس؟ أنـا لا أعـرف أحـداً قـال ذلك غير (أخبار اليوم)، وإذا كنت أطمع في رياسـة الـوزارة، فجلالة الملك هو الذي أتوجه إليه بهذا المطمع، فهل سـمعتم منـي جلالـتكم شيئاً من هذا ؟. وهل قال أحد لجلالتكم يوماً إن للـبلاد مصـلحة في ذلك ؟. لكنني أؤكد لكم أنه لا يعنيني أن أكون يوماً رئيسـاً للوزارة ولا يعنيني أن أكون كما أنا اليوم رئيساً للشيوخ، وأسعد سـاعة عندي أن أجلس إلى مكتبي أؤلف كتاباً تطمئن إلى تأليفه نفسي. وهل تحسبون جلالتكم أن رياسة الوزارة في مصر مركز محسود ؟ كفى رئـيس الوزارة متاعبه مع زملائه، ومطالب أعضاء البرلمان، ومطاعن الصـحف، والمشاكل التي تواجهه من كل جانب. فإذا لم تكن خدمة للبلاد تـرونها جلالـتكم في إسناد الوزارة لشخص بذاته، فما أغنى العاقل عن أن يـواجه كل هذه المتاعب. ابتسم الملك وقال له: على كل حال يستطيع رئـيس الـوزارة إذا عز عليه مواجهة الموقف أن يستقيل، ولكن، ماذا يسـتطيع الملـك أن يفعل. فقال للملك مبتسماً: وهل كان لي شأن في أن تولد جلالتكم ملكاً.

كان هذا هو محمد حسين هيكل باشا المولود بقرية كفر غنام من محافظـة الدقهلية في ٢٠ أغسطس سنة ١٨٨٨. حفظ القرآن الكريم في كـتاب القـرية ثـم بعث إلى القاهرة ليتابع دراسته فحصل على الشهادة الابتدائـية مـن مدرسـة الجمالـية الابتدائية سنة ١٩٠١ وحصل على شـهادة الدراسـة الثانوية من المدرسة الخديوية سنة ١٩٠٥ ثم التحق بعـد ذلـك بمدرسـة الحقوق، وبعد تخرجه منها سنة ١٩٠٩ سافر إلى فرنسـا ليواصـل الدراسـة العلـيا، فالتحق بجامعة السوربون، واختار لرسـالة الدكتوراه موضوع دَين مصر العام، مما ساعده على قراءة كل مـا أتيح له عن تاريخ مصر الحديث، ونال الدرجة العلمية سنة ١٩١٢، وعاد عقب ذلك إلى مصر ليشتغل بالمحاماة فاتخذ له مكتباً بالمنصورة.

ولقـد بـدت موهبة الكتابة عند الدكتور هيكل مبكرة، فكان وهو طالـب يقضـي إجازتـه الصـيفية في قريته ويصدر مجلة يطبعها على مطبعة الغرَاء سماها الفضيلة، وكان يوزعها على القراء في قريته وفي القـرى المجـاورة. كـان لنشـأة هيكل في رحاب القرية وفي أسرة لها مكانـتها وزعامتها في قريتها وفي القرى المجاورة، كان لهذا أكبر الأثر فـي نشـأته؛ فقـد اتصلت العلاقات بين أعيان الريف في الإقليم الواحد. وقـد أتـيح لهذا الريف أن ينجو من أوضار الإقطاع الملكي، فكان زمام القـرى مـن الأراضـي فـي كفـر غـنام وبرقين وأكراشي والعصايد ومناحـريت وديرب نجم ملكاً لأصحابها، وإن أحاطت بتلك المنطقة التي أطلـق عليها أصحابها اسم بلاد الجزيرة لخصب تربتها وجودة زراعتها، تفاتيش الأمراء.

وكانـت قـرية هيكل تبعد عن الطرق الرئيسية للمواصلات بضع

كيلومتــرات، فكانوا يمتطون الدواب إذا أرادوا السفر. وكان أبناء الريف ممـــن يلــتحقون بمـــدارس القاهرة يعودون إلى قراهم لقضاء العطلات المدرســـية. وقد نشأ هيكل في قريته يقضي عطلته الدراسية بمنأى عن الحقـــل؛ فقـــد كانـــت ملكاتـــه الذهنية تفوق ملكاته اليدوية، لذا فقد كان يقضــــي وقــــته فـــي القراءة، أو الكتابة، أو في النظر إلى طبيعة الريف مغــرقاً فـــي تأملاته هائماً بكل مواطن الجمال فيه، فتظل هذه المجموعة مـــن الصور – القرية والحقل وكيان الأسرة – محفورة في ذهنه، وتكون قصــة (زيــنب)، حــيث دفعه حنينه إلى الوطن لكتابة هذه القصة. ولولا هــذا الحنين ما خط قلمه فيها حرفاً ولا رأت هي النور. فزينب هي قصة شــبابه، تمثله تمثيلاً صحيحاً لأنه استحضرها من مخزون الذاكرة، لتمثل أحــلام الشــباب وخــيالاته من أهازيج الحب والوجد كما يعرفها الصبا، خالــية من كل ما يفجع، طائرة على أجنحة من الأمل إلى الجنات، فجاء كــل مـــا فيها ورد وريحان وحور عين، بل إن الفجائع فيها كانت شعراً له روعته وموسيقاه.

لــم يكــن لهيكل علاقة بالسياسة في أثناء دراسته الثانوية، وكان ذلــك يرجع لصغر سنه. ولكن حين التحاقه بمدرسة الحقوق وكانت سنه فـــي ذلــك الــوقت قــد اقتربت من السابعة عشرة. أصبح مضطرّاً إلى الإحاطــة بتــيارات السياســة أكثــر مـــن ذي قبل، كما يسرت له صلته الأســرية بلطفــي السيد أن يزوره في "الجريدة" التي كان مقرها سراي الــبارودي بشـــارع غيط العدة، في طريق ذهابه إلى مدرسة الحقوق أو حـــين عــودته منها، وبدأ يكتب فيها، وأبدى لطفي السيد تقديره لأسلوبه ولطــريقة تفكيره، فجعله ينشر في الجريدة ما يكتب. وقاده لطفي السيد

إلــى مــيادين مــن الفكر أرحب، فانتقل من أغاني الأصفهاني، والبيان والتبيــين للجــاحظ، إلــى قراءة "الحرية" لجون ستيوارت مل، "والعدل" لهربــرت سبنسر، "والأبطال"، "والثورة الفرنسية" لكارليل، بالإضافة إلى كــتب فــي الأدب الإنجليزي أفسحت أمامه آفاقاً لم يكن له عهد بها. فقد بــدأ لطفــي الســيد يــوجه قراءاته إلى ما يُكوِّن تفكيره وعقله التكوين الثقافــي المناســب لشاب واعد يطرق أبواب المعرفة الرفيقة التي تتصل بروح العصر.

وســافر هيكل إلى فرنسا لدراسة الدكتوراه كما وعده لطفي السيد مــنذ اختار له دراسة الحقوق. وهناك في فرنسا تتكشف له معانٍ جديدة، وقــيم أخــرى للحــياة وللعلاقات الإنسانية؛ فقد كان يرى أن الخلاف في الــرأي لــيس معناه الخصومة، فالناس يختلفون في الرأي والعقيدة. فلا يقضــي هــذا علــى مودتهم، أو لا يجعل هذا الخلاف أحدهم يسفه رأي الآخــر، فعــاش هيكل حياته مؤمناً بهذه الحقيقة، وما أكثر ما خاض من معــارك السياســة، ولكــنه ابتعد عن الخوض فيما لا يليق بالشرفاء أن يخوضوا فيه.

بعد احتجاب جريدة "الجريدة" سنة ١٩١٥ تابع نشاطه في جريدة "الســفور" الأســبوعية، وكــان يتناوب هو والدكتور طه حسين والشيخ مصــطفى عــبد الــرازق والدكتور منصور فهمي كتابة مقال لكل عدد، فضــلاً عــن كتابــته فــي عــدة جــرائد ومجلات أخرى مثل: الأهرام والمقــتطف. ولمــا تكــوّن حزب الأحرار الدستوريين سنة ١٩٢٢ كان هــيكل أحــد أعضــاء مجلس إدارته، وعهد إليه حينذاك برياسة تحرير صــحيفة الحــزب "السياســة اليومية"، ومنذ هذا الوقت ودع هيكل حياة

المحاماة وعاش بقية حياته في الصحافة والسياسة والتأليف، وظل رئيساً لتحرير السياسة اليومية حتى بعد أن تحولت إلى أسبوعية سنة ١٩٢٦.

وقد شغل بعد ذلك عدة مناصب منها: اختير وزيراً للمعارف عدة مرات، ووزيراً للشئون الاجتماعية، وعين رئيساً لمجلس الشيوخ وكان ذلك من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٥٠، وقد اختير سنة ١٩٤١ بعد وفاة المرحوم محمد محمود باشا نائباً لرئيس حزب الأحرار الدستوريين، ثم تنازل له المرحوم عبد العزيز فهمي باشا عن رئاسة الحزب، فأصبح رئيساً له حتى ألغيت الأحزاب بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢. كما أنه كان رئيس وفد مصر إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٤٦ وما بعدها، وكان صاحب موقف مشهود يحسب له في قضيتي مصر وفلسطين داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة.

أثرى المكتبة العربية بكتب عديدة ومتنوعة نذكر منها على سبيل المثال: قصة "زينب". وزينب هي قصة الثورة على القديم .. الثورة على رق الأرض، والثورة على الحجاب، واستباحة حرية المرأة في اختيار الزوج، والثورة على التقاليد الجامدة التي تؤدى إلى الخلل والبوار، كما هي الثورة على الفقر الذي يسلب الإنسان حريته، وأخيراً زينب هي القصة التي تعد باكورة الإنتاج القصصي في الشرق العربي. كما أنشأ كتاباً عن "حياة محمد"، "والفاروق عمر"، ثم كتاب "ولدى"، وآخر بعنوان "عشرة أيام في السودان"، "وتراجم مصرية وغربية"، كما صدر له "مذكرات في السياسة المصرية" صدر منه جزآن.

وقد اختير الدكتور هيكل لعضوية المجمع سنة ١٩٤٠، وكان قد

اقتــرح علــى المجمــع فــي الدورة السابقة، وضع معجم خاص بألفاظ القــرآن الكــريم، وقد ووفق على ذلك الاقتراح، وتألفت لجنة – كان هو أحــد أعضائها – لوضع المنهج العلمي لهذا المعجم، كما أنه أشترك في لجان أخرى مثل: لجنة الأدب، ولجنة القانون والاقتصاد.

وبــنهاية الــنظام الملكــي الفاسد التي لم يكن للدكتور هيكل دور فــيها، عاد إلى كتبه وأوراقه وإلى عالمه الفكري خالصاً له، ولم يمهله القــدر غيــر ســنوات أربع وأشهر قليلة إذ انتقل إلى رحاب الله صباح السبت ٨ ديسمبر ١٩٥٦. رحل رجل كان رحب الصدر مرناً فيما يواجه بــه الأحــداث، متواضــعاً صادقاً في تواضعه، وديعاً أصيلاً في وداعته، رحــل كمــا عــاش زكــي النفس، وصاحب النفس الذكية، يظفر بجوهر الصداقة في نفوس الناس.

العقاد

عاشق القرن العشرين



العقاد

عشـــق الكاتـــبة المشهورة "مي زيادة" والتي كانت أشهر منه. بل كـــان ينافســـه فـــي حبها رجال أكثر منه شهرة، ولكن مي زيادة عشقته وجعلـــته علـــى قمـــة قلبها ملكاً دون غيره من الرجال، ثم عشق امرأة أخـــرى أســـماها "ســـارة"، وكانـــت امرأة متزوجة، وبالطبع لم يكن هذا اســـمها، أذاقـــته ســـارة ألواناً من العذاب؛ فقد كانت امرأة تلعب بقلوب الرجال. كان يكتشف هذا دائماً. وكلما قرر أن يضع نهاية لهذه المهزلة، تعـــود إلـــيه فيكتشف أنه ما زال يعشقها. ثم انتقل إلى عشق آخر وكان عشـــقاً غـــريباً؛ ألا وهـــو عشق "مديحه يسري" الممثلة المعروفة الآن، والتـــي لـــم يكـــن اسمها بالطبع مديحه يسري، بل كان اسمها "هنومه"، والتي شاهد صورتها في إحدى المجلات المسرحية، كانت مديحه يسري مخـــتلفة عن مي وسارة، فقد كانت كل منهما امرأة كاملة الأنوثة، إلا أنه وجـــد في عيني تلك السمراء براءة وفتنة تعادل كل أقاصيص العشق في الـــتاريخ وكـــل خرافات السحر في الحب، فتحول من رجل ناضج مارس الحـــب مـــع الكثيـــرات إلى مراهق تطل عليه عينا محبوبته من صفحات الكـــتب التـــي يقرؤها. بحث عنها كثيراً حتى صادفه أحد مريديه، والتي كانـــت وبالصدفة صديقة لأخته التلميذة في مدرسة الفنون بشبرا. فطلب مـــنه أن يدعـــو التلميذتـــين إلى اجتماع يوم الجمعة الذي يقيمه من كل أسبوع، والذي كان يتردد عليه فيه تلاميذه ومريدوه.

كـــان هـــذا هـــو المـــرحوم الأســـتاذ عباس محمود العقاد الكبير

والشـــاعر الرصـــين، والـــناقد البصـــير، والـــباحث الاجتماعي العميق، والمـــؤرخ صاحب مدرسة فن السير، المتنوع الثقافة، المتعدد المواهب، وصاحب العبقرية الرحبة.

ولـــد عباس محمود العقاد في ٢٨ من يونيو سنة ١٨٨٩ بمدينة أســـوان، وتلقـــى تعلـــيمه الابتدائي بمدرسة أسوان الأميرية، وفي أثناء وجـــوده بالمدرســـة أخرج صحيفة على غرار صحيفة "الأستاذ" التي كان يخـــرجها "عـــبد الله الـــنديم"، وســـماها – مـــن باب المعارضة – باسم "التلمـــيذ"، أصـــدر مـــنها بضعة أعداد كان يقرؤها بعض رفاقه وأقاربه وكانـــوا مشـــجعين لـــه ومتفكهـــين بمادتها. وبعد إتمام دراسة الشهادة الابتدائـــية حضـــر دروساً في الكيمياء والكهرباء بمدرسة التلغراف حين كانـــت ملحقـــة بمدرســـة الصنايع ببولاق. كما عمل في بعض الوظائف الحكومـــية، ثـــم استقال منها واشتغل بالصحافة، وكان أول عمل له في جـــريدة "الدســـتور" التي أصدرها محمد فريد وجدي. ثم كتب في صحف أخرى مثل "المؤيد" و"الأهالي" و"الأهرام" و"البلاغ" و"الأخبار".

لـــم يكتســـب العقاد مكانته الأدبية الرفيعة من جاه ولا من وظيفة ولا مـــن لقـــب علمي، إنما اكتسبها بكفاحه المتصل العنيف الذي يُعد به أعجـــوبة مـــن أعاجـــيب عصـــرنا النادرة، فقد تحول بعد حصوله على الشـــهادة الابتدائية يزود نفسه بالمعارف زاداً وافراً، واحتل الأدب قلبه، وشـــغله عـــن كـــل مـــتاع في دنياه، مستأثراً بكل ما فيه من قوة وفكر وعاطفـــة. ولا يكاد يخطو في العقد الثالث من عمره خطوات حتى يفاجئ البيـــئات الأدبية فجآت متوالية بما ينقل عن الغرب من آثار محللاً وناقداً مستنبطاً ومناقشاً، وبما يرسم للشعر العربي من وجهة جديدة تتأثر فيها

ملكات الشاعر بما يتجاوب حوله من موسيقى الطبيعة وأصداء الجمال.

وهدتـــه بصـــيرته الـــنافذة مـــن أول الأمر إلى أن واجب الأديب العربـــي المعاصر أن يتطور بأدبنا في ضوء الآداب الغربية؛ حتى يخرج بـــه مـــن عالمه التقليدي بقيوده وأغلاله اللفظية والمعنوية إلى عالم حر فسيح تندفع فيه أمتنا العربية اندفاعاً إلى حرية التفكير والتعبير.

عُـيِّن العقـاد في سنة ١٩٣٨ عضواً بالمجمع اللغوي، كما نشر قصـــة ســـارة، وفي السنة الثانية ينشر كتابه "رجعة أبي العلاء" متخيلاً فـــيه طـــوافه بأرجاء العالم الغربية والشرقية وجعل مصر خاتمة طوافه. ثـــم نشر سنة ١٩٤٠ كتابيه "هتلر في الميزان"، "النازية والأديان"؛ يدافع فـــيهما عـــن الحرية والديمقراطية أمام حكم هتلر ونظامه الفاشي، وفي ســـنة ١٩٤٢ نشـــر ديـــوانه "أعاصير مغرب"، كما نشر "عبقرية محمد" و"عبقـــرية عمـــر"، وفـــي العام التالي نشر "الصديقة بنت الصديق"، كما نشـــر فـــي العـــام نفســـه دراسته عن عمر بن أبي ربيعة باسم "شاعر الغـــزل"، وفـــي سنة ١٩٤٤ يخرج كتاباً عن "عمرو بن العاص" ودراسة أدبـــية عـــن "جمـــيل بثينة"، ثم عين عضواً بمجلس الشيوخ، وفي عام ١٩٤٥ نشـــر العقـــاد سبعة كتب: كتاباً عن المرأة باسم "هذه الشجرة"، وكـــتاباً عـــن الحسين بن علي بن أبي طالب باسم "أبو الشهداء"، وكتاباً عـــن بـــلال بن رباح مؤذن الرسول ﷺ باسم "داعي السماء"، وكتاباً عن "عبقـــرية خالد بن الوليد"، وكتاباً عن "فرانسيس باكون" وفلسفته، وكتاباً باســـم "عـــرائس وشـــياطين" يضم باقة من الشعرين: العربي والغربي، وكـــتاباً ســـماه "في بيتي" حمل فيه على مدارس التصوير الحديث، وفي ســـنة ١٩٤٦ ألَّف كتاباً عن ابن سينا باسم "الشيخ الرئيس"، وكتاباً عن

"أثـــر العـــرب في الحضارة الأوروبية"، أما في سنة ١٩٤٧ فنشر كتابه عـــن "الله" وكـــتاباً عن "الفلسفة القرآنية"، وفي سنة ١٩٤٨ يؤلف كتاباً عـــن "غاندى" باسم "روح عظيم"، وكتاباً عن "عقائد المفكرين فى القرن العشـــرين"، وينشـــر في سنة ١٩٤٩ كتاباً عن علي بن أبي طالب باسم "عبقـــرية الإمام". وينشر في سنة ١٩٥٠ ديوانه "بعد الأعاصير"، ويؤلف كـــتاباً عـــن "برنارد شو" وكتاباً عن "فلاسفة الحكم في العصر الحديث"، ويدور العام فيؤلف كتاباً عن "عبقرية الصديق".

فـــي سنة ١٩٥٢ ينشر العقاد ثمانية كتب: كتاباً عن "الديمقراطية فـــي الإســـلام"، وكتاباً عن "ضرب الإسكندرية في ١١ يوليو"، وكتاباً عن الـــزعيم الصـــيني "سن ياتش" المتوفى سنة ١٩٢٩، ثم يختار مجموعة مـــن مقالاتـــه الأدبية التي نشرها بين سنتي ١٩٤٩ و١٩٥٢ ويسميها "بـــين الكـــتب والناس"، وكتاباً عن "فاطمة الزهراء"، وكتاباً عن إبراهيم الخلـــيل باســـم "أبـــو الأنبـــياء"، وكتاباً عن "ابن رشد"، وكتاباً عن "أبي نـــواس". وفـــي سنة ١٩٥٤ يؤلف كتاباً عن عثمان بن عفان باسم "ذو الـــنورين"، ويترجم طائفة من القصص الأمريكية باسم "ألوان من القصة القصـــيرة فـــي الأدب الأمريكـــي"، وينشـــر كتاباً عن "الإسلام في القرن العشـــرين". ويكـــتب فـــي سنة ١٩٥٥ كتاباً عن طوالع البعثة المحمدية باســـم "مطلـــع النور"، وكتاباً عن فلسفة الثورة باسم "فلسفة الثورة في الميـــزان"، ويؤلـــف كـــتاباً عـــن "الشـــيوعية والإنســـانية"، وكتاباً عن "الصـــهيونية العالمـــية"، وكـــتاباً عـــن "إبليس". وفي سنة ١٩٥٦ يعين عضـــواً بـــالمجلس الأعلـــى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ويظـــل مـــنذ تعيينـــه فيه مقرراً للجنة الشعر. وفي هذه السنة يجري له

الأطـباء جـراحة بإحدى عينيه، ويحتجب عن قرائه في صحيفة الأخبار نحـو عام، ومع ذلك يظل له نشاطه في عالم التأليف؛ إذ ينشر كتاباً عن معاويـة بـن أبـى سفيان باسم "معاوية فى الميزان"، وكتاباً عن "جحا الضـاحك المضـحك"، وكـتاباً عـن الشيوعية والوجودية باسم "أفيون الشـعوب". وتتوفـى أمـه فـى هذه السنة فيعيش حزناً ظاهراً ويرثيها بقصـيدة مؤثرة. ونقرأ له في سنة ١٩٥٧ كتاباً عن "بنجامين فرانكلين"، وكـتاباً بعـنوان "الإسـلام والاسـتعمار"، وكتاباً بعنوان "لا شيوعية ولا اسـتعمار"، وكـتاباً بعنوان "حقائق الإسلام وأباطيل خصومه"، وفي سنة ١٩٥٨ ينشـر مختارات من أشعاره في دواوينه السابقة ملحقاً بها بعض قصـائد جديـدة باسم "ديوان من دواوين"، وينشر أيضاً كتابه "التعريف بشكسـبير". ونقـرأ له في سنة ١٩٥٩ كتابه "القرن العشرون: ما كان ومـا سـيكون"، وكـتاباً عن "المرأة في القرآن الكريم"، وكتاباً عن عبد الـرحمن الكواكبـى باسـم "الرحالة: ك". وفي سنة ١٩٦٠ يمنح العقاد جائـزة الدولـة التقديرية للآداب تنويهاً بجهوده الأدبية المثمرة، وينشر كـتابه "الـثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين"، وكتاباً عن اللغـة العـربية وخصائصـها الفنـية باسم "اللغة الشاعرة"، وكتاباً عن الشاعر الأسبانى المعاصر خيمنيز باسم "شاعر أندلسي وجائزة عالمية". ونقـرأ له في سنة ١٩٦١ كتاباً عن "الإنسان في القرآن الكريم"، وكتاباً عـن "الشيخ محمد عبده". وينشر في سنة ١٩٦٢ كتابه "التفكير فريضة إسـلامية". وفـي سنة ١٩٦٣ نقرأ له كتابه "أشتات مجتمعات في اللغة والأدب"، وكـتابه "رجـال عـرفتهم". وفي سنة ١٩٦٤ ينشر كتاباً عن "جوائـز الأدب العالمـي"، ثـم تنشـر له دار المعارف يومياته التي كان

يكتبها في صحيفة "الأخبار". وبجانب هذا الكم الهائل من الإنجاز الفكري مـــن المؤلفات والدواوين كان يغذي المجلات بمقالاته الأدبية وفي مقدمة هذه المجلات: مجلة الهلال، والرسالة، والكاتب، التي كانت تصدرها دار المعارف، ومجلة الأزهر، ومنبر الإسلام.

اســـتمر ثلاثين سنة يعقد ندوته الأسبوعية في بيته كل يوم جمعة، وبيـــنما هو يغذي وطنه العربي بكل هذا الغذاء الرائع، إذ الموت يختطفه فـــي ١٢ مـــارس من عام ١٩٦٤. يختطف المادي منه، أما المعنوي – وهـــو الأبقـــى – فلن يستطيع الموت أن يقترب منه، بل سيظل حيّاً خالداً على مدار الزمن، تتسلمه الأجيال، جيلاً بعد جيل.

المازني

الرجل الذي عاش قليلاً



المازني

دخـل علـى التاريخ فقال له: هل تعرفني ؟ قال التاريخ: نعم، إنك أحـد أعـلام النهضـة الأدبية الحديثة، وصاحب القلم الساخر الذي كتب المقالـة الوصـفية، والقصـيدة، والقصة، وترجم الشعر والنثر، وعلّق، وعـرض، ونقـد ومـلأ ذاكـرة الجـيل الحاضر بما أبدع في الصحف والمجلات والكتب.

أنـت أديـب مـرهف الحـس، لاذع السخرية، وصاحب الأسلوب السـلس الشـائق، أنـت ثالـث ثلاثة كونوا جماعة الديوان، وواحد من المجـددين فـي الأسـلوب والموائمين فيما يكتب بين العربية الفصحى والعـربية الدارجـة السـهلة المـتداولة، إنـك بلا ريب أحد المبتكرين المحبوبـين، كـنت دائماً من المترجمين النادرين، لا أعرف فيما عرفت مـن تـرجمات الـنظم والنثر أديباً يفوقك في الترجمة من لغة إلى لغة، ويملـك هـذه القـدرة شعراً كما يملكها نثراً، فتجيد منها اللفظ كما تجيد مـنها المعنى والنسق والطلاوة، أنت إبراهيم عبد القادر المازني المولود بالقاهـرة فـي سنة ١٨٩٠، وأصل أسرتك من " كوم مازن " بالمنوفية، نلـت شـهادة الدراسة الثانوية سنة ١٩٠٥ ودخلت مدرسة الطب، وفي حجـرة التشـريح أحسسـت بالغثـيان وكدت يغمى عليك فكان هذا آخر عهـدك بالطـب، وآثرت بعد ذلك أن تلتحق بكلية الحقوق لأنها كانت من أشـهر المـدارس العالـية فـي ذلك الحين، فيها ومنها الأدباء وأرباب المناصـب والفكـر والقلم، لكن حال بينك وبينها ارتفاع مصروفاتها ذلك

العـــام والتـــي لـــم تكـــن تتناسب مع قدرتك المالية، فدخلت - مجبراً - مدرســـة المعلمـــين العلـــيا (المعلمين الخديوية). ولم يكن فيها تخصص ولكـــنك خصصـــت نفسك، فدرست الآداب ودرّستها. وبقيت على عهدك بتدريســـها حتى قدّمت استقالتك من التعليم كله لكي تعمل بالصحافة، لك العديد من المعارك الأدبية والسياسية.

عـــاش المازنـــي ســـتين عاماً من سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٤٩، قضـــى مـــنها حوالـــي أربعين عاماً يمارس الإنتاج الأدبي، ويساهم في تطويـــر البنـــية الثقافـــية حتـــى لحظـــة وفاته. فمنذ تخرج في مدرسة المعلمـــين العلـــيا سنة ١٩٠٩ وهو لا يكف عن الكتابة ودخول المعارك والاشـــتراك في أحداث الحياة اليومية المصرية منها والعربية؛ لذلك غزر إنـــتاجه وتنوعت مادته وأشكاله. ولكن نتاجاته المتنوعة والغزيرة يفضي كـــل مـــنها إلى الآخر ويكمل بعضها بعضاً؛ فهو حلقات متصلة ومتوالية -علـــى المســـتوى التاريخـــي- وهـــو حلقات متكاملة -على المستوى التقنـــي- يفضـــي فـــي الـــنهاية إلى تشكيل رؤية خاصة ومتميزة للذات والواقـــع الاجتماعي والثقافي والفنون، إذ تتداخل أفكاره ورؤيته وأدواته إلـــى حـــد يمكن أن نصف فيه مجمل نتاجه بصفات مشتركة، لأنه يحتفظ فـــي كـــتاباته وحـــواراته وأحاديـــثه بالروح نفسها، رغم تعدد الأشكال والأنواع والأساليب.

كتب المازني أكثر من "ألفي" مقال ودراسة وخاطرة، جمع بعضها فـــي كـــتب، وأهمل الباقي، حتى جمع بعض هذا الباقي عام ١٩٦١، ولا يـــزال كثير من إنتاجه في الدوريات يحتاج لمن ينشره، بل إن بعض كتبه المهمة نفدت منذ زمان بعيد وتحتاج إلى من ينشرها من جديد.

وإبـــراهيم عبد القادر المازني من المبدعين الذين يرتبط إنتاجهم بأحـــوالهم النفسية والاجتماعية والسياسية. فمؤلفاته تسير مع حياته في تـــواز غـــريب، فكمـــا أخـــذت حياته مراحل وفترات خمود ونشاط، أخذ إنـــتاجه المراحل نفسها، فالفترة الأولى من حياته، المنتهية بتخرجه من مدرســـة المعلمـــين، كانـــت فترة التكوين النفسي والاجتماعي والثقافي، والتعـــرف على قدراته وميوله. أما الفترة الثانية التي تلي التخرج فكانت فتـــرة البحث عن دور في الحياة وفي الأدب بخاصة، وهي فترة الشباب والـــثورة والـــرغبة العارمة في تغيير الذات والواقع ليفسح لنفسه ولمن يشـــاركه المصير نفسه، مكاناً وسط سيطرة القديم، ووسط شيوخ الأدب والإعـــلام، لذلك امتدت هذه الفترة حتى استنفدت منه دفعة الشباب وقوة انفعالـــه، امـــتدت تلـــك الفتـــرة فيما بين عام التخرج ١٩٠٩ حتى عام ١٩٢٧ تقريباً، وهي الفترة التي تنتهي بصدور كتابه "قبض الريح".

لهـــذه الأســـباب تمـــثل الفترة الثانية هذه، فترة الإبداع الشعري؛ ففـــيها أصـــدر الجزء الأول والجزء الثاني من ديوانه سنة ١٩١٣، سنة ١٩١٧، أمـــا عـــن قصائد الجزء الثالث فقد نشرت مؤخراً جدّاً في عام ١٩٦١ مع إعادة نشر الجزأين الأول والثاني، باستثناء أربع قصائد فقط كتـــبت بعد عام ١٩٢٧. كما أصدر فيها كتبه عن نقد الشعر بخاصة. وقد حظيت هذه الفترة بأكثر من ثلث مقالاته في الصحف والمجلات الصادرة آنذاك.

ولا يســـتثنى مـــن الفتـــرة الثانـــية إلا كـــتابه عن "بشار بن برد" الصـــادر عـــام ١٩٤٤ على الرغم من أن كثيراً من مادته قد كتبت إبان الفتـــرة الثانـــية. وينبغـــي أن نشير أن كتاباته في نقد الشعر أو الحديث

عـنه لم تتوقف في الفترة الثانية، وإنما حظيت تلك الفترة بالتركيز على الشـعر ونقـده وبحثه سواء العربي أو المترجم. ففي هذه الفترة أصدر كتابـيه عـن "الشعر: غاياته ووسائله" و "شعر حافظ" عام ١٩١٥، كما اشـترك مع العقاد في كتابه "الديوان في الأدب والنقد" عام ١٩٢١ في جـزأين، كمـا أصـدر كـتابه "حصاد الهشيم" في عام ١٩٢٤، ثم كتاب "قـبض الريح" في عام ١٩٢٧، ثم مجموعة المقدمات النقدية التي كتبها لمجمـوعة مـن الـدواوين والكـتب. أمـا الفترة الثالثة والأخيرة فقد اسـتوعبت كـتاباته القصصـية والروائية والدرامية. كما حظيت بثلثي نـتاجه فـي المقـالات والدراسـات والخواطـر، كما شهدت تلك الفترة انغماسـه فـي العمـل الصحفي والسياسي. وهي الفترة التي اختير في نهايـتها عضـواً بمجمع اللغة العربية حتى وفاته في عام ١٩٤٩. وقد اختلط – في هذه الفترة – القص بالمقال فأكثر من مقالاته القصصية.

وبهذا نستطيع أن نميز مرحلتين من نتاجه الأولى: مرحلة الشعر ونقـده، والثانـية: مـرحلة القص والصحافة. ونعنى هنا بالمرحلة تلك الفتـرة الغالـب علـيها نوع النتاج الأدبي لدى المازني؛ لأن هذا النتاج نتاج شخصية لا تنفصم بل تتطور، وتتداخل مراحلها وإبداعاتها.

تـتوازى المـرحلة الأولـى – إذن – مع غنائية الشعر وانفعاله وحدتـه، وحـدة الخصومة النقدية، كما تتوازى مع مرحلة المد الثوري وصـعود الـبورجوازية المصـرية، وتبلور فلسفتها الليبرالية. وتتوازى المـرحلة الثانـية مع كهولة المازني، واتزانه النفسي. ومع تطور العام مـن الغنائـي إلـى القصصي والدرامي، وهي المرحلة التي تعتد بالآخر وتحـاوره تحـاوراً عقلـياً، كمـا تتوازى – على المستوى العام – مع

مـــرحلة الصـــراع الحزبي والصحافي وما انتاب مصر من هزات داخلية وخارجـــية، فرضـــت مجمـــوعة مـــن الضغوط السياسية والفكرية على المثقفـــين بعامـــة، وتحمـــل فيها المازني مسئوليته الخاصة تجاه نفسه ووطـــنه وقوميـــته، فقـــد شهدت هذه الفترة تحولاً في وظيفته، إذ عمل كســـكرتير ثـــم كرئيس لتحرير جريدة " الأحرار الدستوريين " لسان حال حـــزب الأحـــرار الدستوريين، كما شهدت الفترة نفسها رحلتيه إلى الشام والعـــراق وتـــوهج فكـــرة القومية العربية، ثم قضية احتلال فلسطين في كـــتاباته. حتـــى إننا نستطيع أن نقول في ختام هذه الفترة أنه انتقل من الطـــور الذاتـــي والمحلـــي إلى الطور القومي، ومن الطور الانفعالي إلى الطور الموضوعي.

تـــرجم إبـــراهيم عـــبد القـــادر المازني عن الإنجليزية "رباعيات الخـــيام"، ثـــم ترجم "الآباء والأبناء" لتورجنيف، و"سانين" لأرتزيباشف، ولعل سانين هذا كان من أقرب الشخصيات إلى نفسه.

وعلـــى الـــرغم مـــن أن المـــدة التي قضاها المازني في عضوية المجمـــع كانت قصيرة إلا أنه أسهم بنصيب كبير في أعماله، فاشترك في لجنتـــي الآداب ورســـم الحـــروف. كمـــا أنـه أبدى عدة اقتراحات تتعلق بطـــريقة اختيار الأعضاء العاملين بالمجمع منها: أن يقرر المجمع المواد التـــي يحتاج إليها في عمله، وأن يخصص لكل مادة عدداً من الكراسي، وإذا خلا كرسي رُوعيَ في الترشيح أن يكون المرشح من المتفوقين في المـــادة التـــي خلا كرسيها، كما أنه من الواجب أن يكون الترشيح مبنيّاً على آثار المرشح وأعماله.

وهـــذا بعـــض من كثير مما ساهم فيه إبراهيم عبد القادر المازني

الــذي يعـدّ واحــداً من جيل النهضة الحديثة في مصر، وهو أحد نقادها الأوائــل الــذين نقلوا النقد الأدبي إلى أفق جديد لم يعهده النقد في مصر قبل هؤلاء الرواد.

أحمد زكي

الوزير الغائب



أحمد زكي

اخـتار فـي رحلـة صـعوده إلى القمر أن يأخذ خمسة يسميهم وخمسـة يصـفهم ولا يسـميهم، أما عن الخمسة الذين سماهم، فكانوا: أحمـد حسـن الزيات؛ ليحيي فيه الأمل، وأحمد لطفي السيد؛ ليروّح عنه بـروح أرسـطو، والشـيخ شـلتوت؛ ليمهد للقاء الله، ومنصور فهمي؛ ليـريح حنجـرته فيهـنأ بالصـحة، وكامل الكيلاني؛ ليقول لهم ما قاله المعري في خراب الدنيا.

أمـا عـن الخمسة بصفاتهم: مجنون كبير، ومغرور كبير، ومنافق معـروف، ورجعـي مشهور، وأي حانوتي، كان هذا عن من سيرافقهم أربـع سـنوات فـي الفضاء، أما عن العشرة الذين يرغب في سماعهم فكانـوا: تسجيلات الشيخ محمد رفعت في قراءة القرآن الكريم، ثم كل ما غنـته أم كلثوم من شعر أمير الشعراء أحمد شوقي، ثم مجنون ليلى لعبد الـوهاب وأسمهان، ثم المواويل البلدية، ثم أغاني سلامة حجازي وعبده الحامولـي، ثم برنامج ربع ساعة مع أهل الفن، ثم الرماد المتخلف عن حرق الأحزاب.

فـي سـنة ١٩٥٢ وفـي الثاني من يوليو شكّل حسين سري باشا وزارتـه وكلـف البولـيس بإحضاره، فذهبوا إليه كأنهم يقبضون عليه لمقابلة الملك، طلب منه أن يرتدي الريدنجوت الأسود، ولما لم يكن لديه هـذا الـريدنجوت، فقـد اسـتعاره مـن صـديقه الدكتور عبد الرازق السـنهوري، وجـاء مناسـباً إلا في الأكمام التي أظهرت – لقصرها –

أطـــراف القميص الأبيض، وظهرت الصحافة في اليوم التالي تصور هذا الموقف حيث قالت إنهم قبضوا عليه "بالبيجامة" ليكون وزيراً.

كـــان هـــذا المقـــبوض عليه هو أحمد زكي بن محمد حسين عاكف المولود في ١٥ أبريل سنة ١٨٩٤ في مدينة السويس، والذي رحل إلى القاهـــرة مـــع أســـرته سنة ١٩٠٠ حيث ترعرع. وكان أحمد زكي أكبر أشـــقائه: شـــقيقان وثـــلاث شقيقات. أرسله والده إلى الكتاب فلم يطقه، وتـــركه بعـــد أيام معدودات حيث أرسلوه إلى المدرسة الحكومية فدرس المـــرحلة الابتدائية في السويس حتى ذهب إلى القاهرة فالتحق بمدرسة عـــباس الابتدائـــية، ثـــم حصل على البكالوريا سنة ١٩١١ من مدرسة التوفيقـــية الـــثانوية، وكان ترتيبه الثالث عشر على القطر المصري، بعد ذلـــك آثـــر أن يلتحق بمدرسة المعلمين العليا والتي زامل فيها مجموعة مـــن العظماء من أبناء جيله، تخرج أحمد زكي سنة ١٩١٤، وشارك في حـــركة المعلمـــين لتكوين نقابتهم وانتخب سكرتيراً عاماً لها، وقد رشح بحكـــم أوليـــته لبعـــثة إلى إنجلترا، ونال درجة البكالوريوس من جامعة ليفـــربول عـــام ١٩٢٣، ثم درجة الدكتوراه في الكيمياء عام ١٩٢٤، ثم انـــتقل إلـــى جامعـــة مانشســـتر، فقضى فيها عامين آخرين، وفي عام ١٩٢٨ نـــال درجة الدكتوراه في العلوم من جامعة لندن، وفي أثناء ذلك زار النمسا وألمانيا للاطلاع على مناهج البحث فيهما.

عـــاد أحمـــد زكي إلى وطنه سنة ١٩٢٨ ليجد فيه جامعة ترحب به أســـتاذاً مســـاعداً للكيمـــياء العضـــوية بكلية العلوم، ثم تجيء انتخابات العمـــادة عـــام ١٩٣٦ كـــان ذلك لانتخاب أول عميد مصري فيفوز الدكـــتور أحمـــد زكي، ولكن حكومة الوفد الحاكمة تعين الدكتور مشرّفة،

ويغضـــب أحمـــد زكي، ولكن بخلو مصلحة الكيمياء من مديرها الأجنبي يـــذهب إلـــيها أحمـــد زكي مديراً لا بحكم الترضية فحسب، ولكن لان هذا المنصـــب لـــم يجد بين المصريين من هو أصلح له ولا أجدر منه، تتكرر مسألة العمادة في عام ١٩٣٩ ولكنه يرفض ويظل في مصلحة الكيمياء، وفـــي سنة ١٩٤٥ يُختار سكرتيراً عامًا لمجلس البحوث الأهلي بالإضافة إلى منصبه كمدير لمصلحة الكيمياء، وفى العام الثاني تضاف إليه أعباء إداريـــة أخـــرى وهـــي إدارة مصلحة الصناعة، وفي سنة ١٩٤٧ يختار لـــيكون أول مديـــر لمجلـــس الـــبحوث الأهلي بدرجة وكيل وزارة تتبع لرئاســـة الوزارة مباشرة ويبقى فيه خمس سنوات حتى عام ١٩٥٢، ثم يخـــتاره حسين سري باشا وزيراً للشؤون الاجتماعية والذي يقضي في الـــوزارة أيامـــاً لم تتجاوز العشرين، ثم تتغير الوزارة فيعود إلى مجلس الـــبحوث فـــي نفس موقعه، ثم يقدم استقالته منه في يوم ١٢ أغسطس ســـنة ١٩٥٣. وبعـــدها بخمســـة أيـــام خرجت الصحف تعلن نبأ اختيار الدكـــتور أحمد زكي مديراً للجامعة الأولى (جامعة القاهرة) ثم تركها في يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٥٤.

حيـــنما فكـــرت الكويت في إصدار مجلة العربي، وقع الاختيار على الدكـــتور أحمد زكي فذهب إلى الكويت، واختار فريق عمل يساعده على إصـــدار مجلـــة العربـــي، وصدر عددها الأول في ديسمبر عام ١٩٥٨، ونجحـــت نجاحـــاً كبيـــراً، وبـــدأت بأربعين ألف نسخة، ثم تمضي مجلة العربـــي مـــن نجـــاح إلـــى نجاح ومن تطور إلى تطور، مهتمة بالقضايا الفكـــرية. فقـــد اســـتطاع أحمـــد زكـــي أن يبتعد بالمجلة عن النزاعات والمعارك العربية الجانبية.

مارس العديد من أوجه النشاط: فقد كان أحمد زكي في لجنة التأليف والترجمة والنشر، كما ساهم مع نخبة من أعلام الفكر والثقافة في تأسيس المجمع المصري للثقافة العلمية سنة ١٩٢٩، ولما بدأت في مصر إنشاء الجمعيات العلمية المتخصصة كان له الفضل الأكبر في تأسيس الجمعية الكيميائية المصرية سنة ١٩٣٨ وانتخب رئيساً لها على مدار ربع قرن من الزمان، ثم قدّم استقالته، كما كان واحداً من العلماء العشرة الذين أسسوا الأكاديمية المصرية للعلوم في أكتوبر سنة ١٩٤٤، كما كان عضواً في المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية، وعضواً في مجلس إدارة البنك الصناعي، وعضواً في مجلس معهد فؤاد الأول للصحراء. ودخل الدكتور أحمد زكي مجمع الخالدين فكان واحداً من العشرة الذين ضمهم الفوج الثالث من أعضاء المجمع سنة ١٩٤٦. وظل فيه حتى وفاته، وقد شارك في كثير من لجان المجمع ولاسيما لجان: الجيولوجيا وعلوم الأحياء والزراعة، كما أسهم في اللجان الإدارية، ورأس أحمد زكي سنة ١٩٤٧ تحرير الهلال لمدة أربع سنوات حتى عام ١٩٥٠.

ونشرت له الهيئة المصرية العامة للكتاب بعد وفاته موسوعته العلمية في فلسفة وحدة الكون تحت عنوان "مع الله في الأرض"، ثم نشرت له دار الشروق "في سبيل موسوعة علمية"، وقبل هذين الكتابين "مع الله في الأرض"، و "مع الله في السماء". وقد أخرج الدكتور أحمد زكي في سنة ١٩٣٨ ترجمة لكتاب قصة الميكروب "كيف كشفه رجاله" وهو من تأليف بول دي كريف ونشرت ترجمته في مجلة الرسالة. كذلك ترجم الكتاب الذي ألفته أوجيني كلارك تحت عنوان "في أعماق

المحـيطات" وقـد نشـرته دار الهلال، كما عاون في الستينيات مؤسسة فـرانكلين علـى نشـر اثنـين مـن أبرز الكتب العالمية التي أخرجتها المؤسسـة فـي مصر وأولها كتاب ألفه الدكتور جيمس كونانت وترجمه الدكـتور أحمـد زكـي تحـت عـنوان "مواقف حاسمة في تاريخ العلم" ونشرته دار المعارف سنة ١٩٦٣.

أمـا الكـتاب الثانـي والـذي يحمـل اسم "بواتق وأنابيب.. قصة الكيمـياء" فقـد ترجمه عن العلامة برنارد جافي. وهناك مجموعة أخرى مـن أحاديـثه التـي لم تنشر في "الطب" ومقالاته الأخرى في "الأمراض الشـائعة"، وسلسـلة أحاديـثه عن "الذرة" وعن الفضاء، كما ترجم من عـيون الأدب العالمي لاثنين من كبار الأدباء وأبرزهم في تاريخ الأدب إذ ترجم "غادة الكاميليا" و "جان دارك".

أمـا عـن أعمالـه التـي ألفها غير السابق ذكره فهي خمسة كتب ضـمت المجمـوعات الأولـى من مقالاته، وجمعت أحاديثه الإذاعية في كتابـين متعاقبـين أولهما "سلطة علمية" وثانيهما "سلطة علمية أخرى" بالإضـافة إلى ٦١ حديثاً إذاعيًا لم تنشر في العملين السابقين، أما كتاب "بـين المسموع والمقروء" فقد جمع فيه ثلاثين قصة صغيرة وأقصوصة، أمـا عـن كتابه الرابع "ساعات السحر" الذي يضم اثنين وعشرين فصلاً فهـو مخـتارات مـن مقالاته في الهلال الجديد وفي مجلة الإثنين. وأما الكـتاب الخـامس "مـع الناس" فيحوي ثلاثة وعشرين فصلاً تتناول كل العلاقات والنواحي التي تكون بين الناس.

وفـي صيف عام ١٩٧٥ تعدى الدكتور أحمد زكي الثمانين وأدركه مـرض ضعف العضلات فسافر للعلاج وحضر للقاهرة، ودخل مستشفى

المعـــادي ولكـــنه رحل في أكتوبر من العام نفسه، رحل بعد أن قدم دوراً كبيـــراً فـــي حملاتـــه الفكرية وفي إنجازاته في المعاهد والمصالح التي أنشـــأها أو أدارهـــا. ولم يكن رحمه الله من أولي الحنكة الحكومية الذين يحرصـــون علـــى جســـورهم مـــن ورائهـــم، بـــل كان من مذهب الذين يخاطـــرون فـــيقولون إنـــه يستوي عندهم أن يحرقوا تلك الجسور أو لا يحـــرقونها، وقد ظل الدكتور أحمد زكي رحمه الله حتى أواخر أيامه عقلاً حاضـــراً، وذهـــناً صافياً، ونظراً ثاقباً، وقلباً شاباً، وصدراً رحباً، ونفساً وثَّابـــة، لـــم يضعف منه من كل ذلك شيء، إلا القوة التي تحمل كل ذلك، قـــوة العضـــلات، فمـــات الرجل بضعف العضلات، قوي الإيمان والفكر، والشـــعور، وبقـــي مـــنه بعده تراث عريض، وإنتاج غزير، وفكر واسع المدى.

محمود تيمور

شيخ القصة القصيرة



محمود تيمور

صـــادق المـــرض وتمرس عليه منذ طفولته، ولازمه في مراحل عمـــره المخـــتلفة، فـــيقول: " منذ الصغر والعلل تتردد علي حتى ألفتها الآن، وأصـــبحت غير غريبة عليّ، منذ سنين طويلة وأنا في رقابة الطب فـــي مأكلـــي ومشربي وفي نومي ويقظتي، وهكذا كنت أحس في أعماق نفســـي بـــنقص يحجزني عن الاستمتاع بما ينعم به غيري، هذا النقص دفعنـــي ولا يـــزال يدفعني إلى أن أستكمل في الخيال ما عجزت عنه في الواقع ".

وعلـــى الرغم من ذلك لم يضع على عينيه منظاراً حين ينظر إلى الحـــياة أو حـــين يـــدخلها من جانب الأدب، بل على العكس من ذلك كان يعكـــس إشـــراقة النظـــر متوسماً في الحياة الضياء والنور، ويرى فيها أجمـــل جوانبها: الحب والجمال، العدل والخير، الرخاء والاستقرار، وكان يـــرى أيضـــاً أن النزعة المسيطرة على الوجود هي النزعة الخيرة، وأن بـــذرة الخيـــر أصـــيلة كامنة في تلافيف العالم، كما أنها موجودة في كل الكائنات صغيرها وكبيرها، حقيرها وعظيمها.

هـــو بالفعـــل محمـــود تيمور أحد رواد القصة في الأدب العربي، وابـــن بيئته التي تنتمي إلى العلم والأدب والشعر والصحافة، فكان والده أحمـــد تيمور العالم والأديب الكبير، وأخوه محمد تيمور الكاتب المسرحي والقصصي المعروف أيضاً، وعمته عائشة التيمورية الشاعرة الثائرة.

ولـــد محمـــود أحمد تيمور بالقاهرة في سنة ١٨٩٤ لتلك الأسرة

التـــي اشـــتهرت بحـــب العلـــم وخدمته، وتعلم محمود تيمور بالمدارس المصـــرية الابتدائـــية والـــثانوية الأميـــرية، وبعـــد ذلك التحق بمدرسة الـــزراعة العليا، ولكنه مرض وهو بها فلم يتم دراسته الزراعية وسافر إلـــى الخـــارج للاستشـــفاء بسويسرا، وهناك أتيحت له دراسة عالية في الآداب الأوروبية، فدرس الأدب الفرنسي والأدب الروسي، ذلك إلى سعة اطلاعـــه فـــي الأدب العربـــي مـــن مكتبة أسرته. فكان لكل ذلك أثره في إنـــتاجه القصصـــي، وظـــل حتى وفاته في نشاط دائب، وإنتاج غزير في مـــيادين الصـــحافة، والمحاضـــرات فـــي الجامعـــات المصرية، ومعاهد الدراســـات المصـــرية، والعربية، والجامعة الأمريكية، والندوات الأدبية كـــنادي القصة، ونقابة الصحفيين، وجمعية الشبان المسلمين. وقد قدرته الأقطـــار العـــربية والغـــربية، فاستدعي لمؤتمر الأدباء في بيروت ممثلاً مصـــر ســـنة ١٩٥٤، كمـــا اســـتدعي لمؤتمر القلم ببيروت كذلك سنة ١٩٥٤، واســـتدعته حكـــومة باكستان لتمثيل مصر في مؤتمر الدراسات الإســـلامية في جامعة بشاور، كما استدعي لمؤتمر الأدباء الذي عقد في دمشـــق. وكـــان له نشاط كبير بين المستشرقين في معظم اللغات الحية، ونال إنتاجه القصصي باللغة العربية الفصحى تتويج مجمع اللغة العربية فـــي ســـنة ١٩٤٧. كمـــا حصل على جائزة الدولة للآداب سنة ١٩٥٠، ومـــنح جائـــزة واصـــف غالـــي بـــباريس ســـنة ١٩٥١ على أحد كتبه المتـــرجمة إلـــى الفرنســـية وهـــو المسمى "عزرائيل القرية"، كما منح محمـــود تـــيمور جائـــزة الدولـــة التقديرية في الآداب سنة ١٩٦٣ من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

وقـــد احـــتفلت روســـيا بأدب محمود تيمور في مدرسة الدراسات

الشـــرقية بموسكو بمناسبة عيد ميلاده في سنة ١٩٦٢. واحتفل به كذلك في جامعة بودابست بالمجر تكريماً لأدبه وإنتاجه.

وتمـــتع محمود تيمور بعضوية هيئات أدبية كثيرة أهمها المجلس الأعلـــى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر. وعين عضواً في مجمع اللغة العربية في سنة ١٩٤٩.

وقـــال له الدكتور طه حسين عن أدبه وإنتاجه: "وسبقت أنت إلى شـــيء لا أعـــرف أن أحداً شاركك فيه من الشرق العربي كله إلى الآن، وإذا ذهـــب أحـــد مذهـــبك، أو جاء أحد فيما بعد بخير مما جئت به، فلن يســـتطيع أن يـــتفوق علـــيك؛ لأنـــك فتحت له الباب ومهدت له الطريق، ويســـرت له السعي، وأتحت له أن ينتج وأن يمتاز، هذا الذي تفوقت فيه وامتـــزت وسجلت به لنفسك خلوداً في تاريخ الأدب العربي لا سبيل إلى أن يُمحـــى، هـــو القصص على مذهبه الحديث، في العالم العربي. وإنك لتوفـــي حقـــك إذا قيل إنك أديب عالمي بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها وأعمقهـــا. فـــلا تكاد تكتب، ولا يكاد الناس يسمعون بعض ما تكتب حتى يصـــل إلى قلوبهم، كما يصل الفاتح إلى المدينة التي يقهرها فيستأثر بها الاستئثار كله".

كـــان محمود تيمور يتسم في إنتاجه بالخصوبة والوفرة والتنوع، والـــذي شمل: الرواية، والقصة القصيرة، والمسرحية، والبحوث الأدبية وألفـــاظ الحضـــارة. ومـــن بعض ما أنتج: "كل عام وأنتم بخير"، و"دنيا جديـــدة"، و"شفاء الروح"، و"النبي الإنسان"، و"أشطر من إبليس"، و"اليوم خمـــر"، و"سلوى في مهب الريح"، و"نداء المجهول"، و"أبو الهول يطير"، و"صـــقر قـــريش"، و"أبو شوشة والموكب"، و"حواء الخالدة"، و"مشكلات

اللغة العربية"، و"دراسات في القصة والمسرح" (فن القصص).

هــذا، وقــد لاقت مؤلفات محمود تيمور حظاً وافراً خارج النطاق العربــي، فقــد تــرجم كثيــر مــنها إلــى عديد من اللغات؛ كالفرنسية، والإنجليــزية، والألمانــية، والعبرية، والقوقازية، والروسية، والصينية، والإندونيسية، والأسبانية.

ومــنذ انضــم إلــى مجمــع اللغة العربية ولمحمود تيمور نشاط ملحــوظ فقــد اشترك في لجنة الأدب، ولجنة تيسير الكتابة، ولجنة ألفاظ الحضارة، ولجنة علوم الأحياء والزراعة. كما ساهم بالعديد من الأبحاث فــي كــل مؤتمــر مجمعــي منها: ضبط الكتابة العربية، ولغة المجتمع، والأدب الشــعبي، وســلطان اللغة العربية، ومواليد جديدة في لغة الحياة العامــة، والعامــية .. الفصحى، ومذاهب الأدب، ومذاهب الأدب الهادف ومكانــه مــن الأدب الواقعــي، وألفــاظ الحضارة، ووحدة الفكر العربي ومقــومات العروبة، والجديد من ألفاظ الحضارة، هذا بعض مما ساهم به محمود تيمور في إثراء المكتبة العربية والفكر العربي.

رحــل عــنا محمــود تيمور في عام ١٩٧٣ بجسده وترك وراءه كاتــباً قصصــياً مــن الطراز الأول، عرف في دنيا العروبة، وفي بعض الأوســاط الأدبــية والفكرية الأجنبية بأنه شيخ كتاب القصة القصيرة في الأدب العربــي المعاصر، وكانت له – وبخاصة في المرحلة الأخيرة من حياته إلى جانب إنتاجه القصصي المتعدد الألوان – مشاركة في التوجيه والــتقويم للأعمــال القصصــية وكتابها، وهي مشاركة تستحق التسجيل والــدرس؛ لأنهــا تمثل خطوات على طريق التطور السليم للذوق الأدبي، وللقــيم الــنقدية في ميدان القصص العربي الحديث، وكان محمود تيمور

يقــرر مــنذ اللحظة الأولى لبدء نشاطه النقدي أمراً يعده من الدعائم في تقــديم العمــل الأدبــي، ذلك هو (الإمتاع)، فكان يرى أن الأعمال الفنية الفــردية كالكتابة والموسيقى والرسم بأنواعه يجب أن يكون فيها إمتاع للقــارئ أو الناظر أو السامع، وليس في عنصر الإمتاع ما يخلّ -عنده- بــروح الفن الصحيح، بل إنه كناقد يراه فرضاً يجب على الفنان التزامه حتــى يضــمن لــه كامــل النجاح. وناقدنا لا يناقش هذا المبدأ مناقشة نظــرية، ولا يحدثــنا عــن طبــيعة المتعة الفنية، واختلاف الأذواق في تحصــيلها، ولكنه يلجأ إلى التوضيح بالمقارنة بين مسرح التمثيل رواية، وقاعــة لإلقاء المحاضرات: ففي المحاضرات يتهيأ الحاضرون لاستماع حــديث جــدي يجري على نمط دقيق تراعى فيه خصائص البحث العلمي وتــؤدي فــيه المقدمات إلى نتائج سليمة. وقد عني محمود تيمور عناية ملحــوظة بتنمــية الوعــي بطبــيعة الفن القصصي، وبتحديد تصوراته ومقــوماته وبتوســيع الثقافة القصصية عند الجمهور القارئ، فهو يعدّ بهــذا مــن واضــعي الأسس الأولى لتطوير النقد الأدبي لفن القصة في الفكر العربي.

محمد شفيق غربال

التلميذ الذي تعلم منه أستاذه !



محمد شفيق غربال

لــم يعــد الــتاريخ علماً قائماً بذاته، أو يعيش بمعزل عن العلوم الأخــرى، بل إنه بمرور الوقت وتقدم الدراسات نجد أن تلك العلوم تقدم يــد العون لباحث التاريخ ليحلل ويفسر حركة التاريخ، وربما يسد بعض الثغــرات في مسلسل التاريخ، وأصبحت الآن علوم كالجغرافيا والاقتصاد والاجتماع وغيرها علوم لازمة ومساعدة للبحث التاريخي.

كمــا أن الــتاريخ أصبح لازماً لتلك العلوم، ومعنى ذلك أنه على الرغم من التخصص العلمي الدقيق الذي واكب القرن العشرين، فإن هذا لم يمنع من تداخل وتلاحم العلوم الإنسانية.

ومن العلوم التي دخلت مجال الدراسات المساعدة للتاريخ مؤخراً الفلكلــور بما يتضمنه من أساطير الشعوب وحكاياتها وأغانيها وثقافتها الماديــة، حــيث إن كلاً منها يتضمن إشارات أو حوادث تاريخية صادقة أحــياناً، وولــيدة الخيال أحياناً أخرى، فهي تتداخل لكي تقدم المأثور في صــورة فنــية يتقــبلها السامع، ولذلك فهي تعطينا معلومات عن تاريخ المجــتمع صــاحب المأثور. ويرى البعض أن المؤثرات الشفهية تصلح مصــدراً تاريخــياً من الدرجة الأولى تماماً مثل المصادر المكتوبة، حيث يمكــن أن تقبل مثلها بعد أن يقوموا بإخضاعها للبحث النقدي التاريخي، وباحــث الــتاريخ يــدرك أن احتمال التزييف أمر وارد في جميع أنواع المصــادر التاريخــية من مؤلفات ووثائق وآثار. لذلك ربما كانت المادة الفلكلورية –إن توفرت وتنوعت– أصدق تعبيراً عن التاريخ، لأنها تحمل

نــبض الشــعب وآمالــه بعيداً عن مؤثرات السلطان أو السلطة بالتعبير الحـديث، ولكن مما يقل من جديتها اختلاطها بخيال الراوي أو الحاكي، واخـتلاطها بعناصـر غيبــية أو فوق قدرة البشر، ولكن تلك المادة مع إخضــاعها للبحث والنقد التاريخي، ووضعها في سياق بيئتها التاريخية والجغـرافية، يمكــن أن تســد بعض الفراغ التاريخي الذي سكتت عنه المصــادر التاريخــية – المطــبوعة أو المكتشفة منها من وثائق وآثار، فتكســو المادة الفلكلورية العظام لحماً فتعطينا صورة حية للجو التاريخي العام، ومن بين الذين آمنوا بذلك متخصص في التاريخ، ومجمعي واسع الثقافة اسمه محمد شفيق غربال.

ولــد محمــد شفيق غربال في مدينة الإسكندرية في سنة ١٨٩٤ وتعلــم بمدارســها، وبعــد أن أتــم الدراسة الثانوية سنة ١٩١٢ التحق بمدرســة المعلمــين العلــيا وتخرج منها عام ١٩١٥، واختير في العام نفســه لبعــثة فــي إنجلترا، فلم تمنعه أخطار الحرب العالمية الأولى من الســفر للدراســة العلــيا، وهــناك التقى بأستاذه المؤرخ الكبير "أرنولد توينبــي" فــتعارفا وتآلفــا واستمرت علاقتهما متصلة طوال عمر محمد شــفيق غــربال، ثــم عــاد إلى مصر فاشتغل بالتدريس، ثم أعيد للبعثة ١٩٢٢ مــع بعض زملائه في كافة التخصصات، وحصل على الماجستير ســنة ١٩٢٤، وعــاد إلى مصر وقام بتدريس مادة التاريخ في المدارس الــثانوية حتى عين مدرساً بمدرسة المعلمين العليا، وعند تحول الجامعة المصــرية القديمــة إلــى حكومية تولى فيها الأستاذية، كما عين وكيلاً لهــا ثــم عمــيداً، ومــنها انتقل إلى وزارة التربية والتعليم (المعارف) فكــان مستشــاراً فنــياً لهــا ثــم وكــيلاً لها، ثم وكيلاً لوزارة الشؤون

الاجتماعية بعد ذلك.

ولـم تصـرفه هـذه المناصـب الكبـرى عن مواصلة دراساته التاريخـية، فكـان تلامـيذه يلـتفون حـوله في الجامعة أو في جمعية الدراسـات التاريخـية ليناقشـهم فـي بحـوثهم ودراستهم، وكان من المؤسسين لجمعية الدراسات التاريخية، وقد أشرف الأستاذ محمد شفيق غربال على عدد كبير من الرسائل الجامعية للدراسات العليا. كما أسندت إليه في السنوات الأخيرة من حياته إدارة معهد الدراسات العربية العالية الـتابع لجامعة الدول العربية، وقد نهض بهذا المعهد نهضة كبيرة، كما مـثّل مصـر فـي عدة مؤتمرات تاريخية، ورأس وفد مصر في الجمعية العمومية لليونسكو وكان عضواً لمجلسها التنفيذي.

والمـرحوم محمد شفيق غربال من أولئك الأعلام الذين يحرصون علـى الـتجويد، فيقل ما يخرجون وما ينشرون، وإذا ما كتبوا فالجودة والدقـة رائـدهم، وهذا هو ما قاله الدكتور منصور فهمي، وهو يستقبله فـي مجمع اللغة العربية من ٤ من نوفمبر سنة ١٩٥٧: "من المأثورات اللاتينية ما قيل: عليك أن تتهيب صاحب الكتاب الواحد"، ولا شك في أن كـتاب شفيق غربال الأول (بداية المسألة المصرية وظهور محمد علي) الذي نال به درجة الماجستير يعد عملاً علمياً خالداً.

أمـا فـي كـتابه الثاني (المفاوضات البريطانية من الاحتلال إلى معاهـدة سـنة ١٩٣٦) الذي ظهر منه جزء واحد وقد نال عنه جائزة الدولـة، والـذي يقول عنه: "أقسم طريقتي في البحث إلى مراحل يكمل بعضـها بعضـاً، فأراجع ما ينشر من الوثائق ثم أقوم بمقارنة تفصيلية بـين وثائق الحكومة المصرية ووثائق الحكومة البريطانية، فأسلم بصحة

الوثائــق المــتطابقة حــين تتطابق، فإذا كان بينها اختلاف قمت بعملية بحــث واستقصــاء واســعة الــنطاق، مســتعيناً بالفولكلور من أساطير وحكايات وأغانٍ؛ حتى أصل إلى أصدق الوثائق".

أمــا عن كتابه الثالث والذي جاء منهاجاً مفصلاً لدراسة العوامل التاريخــية فــي بناء الأمة العربية على ما هي عليه اليوم، فقد قال عنه الأســتاذ محمــد فــريد أبو حديد في حفل تأبينه الذي أقامه المجمع في الــرابع مــن ديسمبر سنة ١٩٦١: "إن من العدل وإحقاق للحق أن نقول إن شــفيق غــربال انتقل بالبحث التاريخي إلى أسلوب البحث المقرر في العلــوم الموضــوعية، وهــو اتجــاه لا يزال إلى اليوم جديداً في بلادنا العربية، إن لم يكن جديداً في بلاد العالم كلها".

وفــي هــذا الحفــل نفسه قال عنه الأستاذ أرنولد توينبي المؤرخ المشــهور الــذي كان على موعد أن ينزل في ضيافته فأبى القدر إلا أن يشــترك فــي تأبينه، وقد ترجم كلمته حين إلقائها ترجمة فورية الدكتور مهــدى عــلام وجــاء فــيها: " إن الطــلاب الموهوبين لا يتعلمون من أســتاذهم، ولا أذكر أنني علّمت شفيق غربال شيئاً، بل على العكس أذكر جــيداً أننــي تعلمــت مــنه كثيراً، والدراسات العليا مشاركة بين الطالب والأستاذ، فيها يعلم كل منهم صاحبه ".

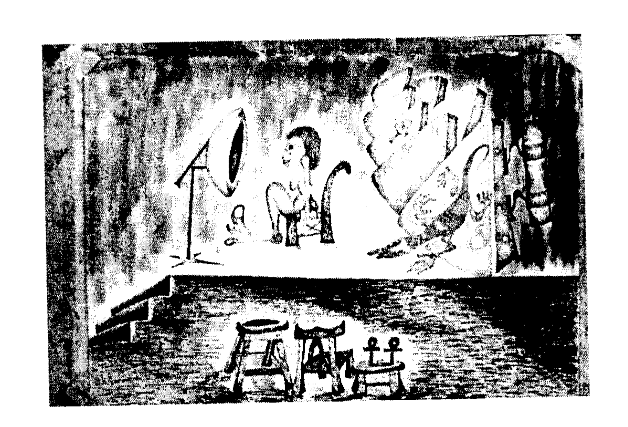
وقــد أشرف الأستاذ غربال على الموسوعة العربية الميسرة التي أصــدرتها مؤسسة فرانكلين، كما برز نشاط الأستاذ محمد شفيق غربال المجمعــي فــي لجــنة الجغرافيا والتاريخ (قبل انقسامها لجنتين)، وفي لجــنة ألفــاظ الحضــارة، كما كان له جهوده في الناحية الإدارية، فكان عضواً بمكتب المجمع وبلجنة المكتبة.

ولــم تخل دورة من الدورات التي قضاها بالمجمع من بحث يلقيه علــى مســامع أعضاء المؤتمر؛ فله من الأبحاث: أساليب كتابة التاريخ عــند العــرب، وكتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية، وبحثه حول كيف دخلــت بعــض المصطلحات السياسية في اللغة العربية، وترجمة أصول الشــرائع لفتحــي زغلول. وقد مثل المجمع في احتفال الجمعية المصرية للاقتصــاد السياسي والإحصاء والتشريع بمناسبة انقضاء خمسين عاماً على إنشائها.

لقــد كــان المــرحوم محمد شفيق غربال ضيفاً قصير الإقامة في المجمــع غزيــر الإنــتاج فــيه، يشــهد له الجميع بعطائه وحبه للعمل وإخلاصــه للــتاريخ ولطلابــه الدارسين للتاريخ، حتى ترك جيلاً حقيقياً يربــي ويعلّــم ويــبحث ويحقق، مستعيناً على التاريخ بما علمهم محمد شفيق غربال.

محمد عوض

أول من كتب الجغرافيا بأسلوب أدبي



محمد عوض

افــتح الــباب، عن ليلة من ليالي شهرزاد، يخرج عليك السندباد البحــري، مــرتحلاً علــى ســفينة بغــرض الــتجارة، دون أن تعلم من أيــن يــذهب وإلى أين يتجه، وكل ما تعرفه أنه ينزل من بحر إلى بحر، ومــن جزيــرة إلــى جزيــرة، يقابل التجار، وأرباب الدولة، والبائعين، والمشــترين، يبــيع، ويشتري، يقايض البضائع ببضائع، وهكذا مادامت السفينة تعوم.

والواقــع أن الســندباد اســتفاد من المعارف الجغرافية في كتب المســالك والمؤرخــين حــيث يــبدو من أسفار السندباد أنه اطلع عليها ووعاها جيداً، حيث أحسن اختيار مكان الحدث حسب أحداث القصة.

ورجلــنا أيضــاً، استفاد من المعارف الجغرافية في كتب المسالك والمؤرخــين لابــن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ومن رحــلات ابــن جبير، ومن ابن خرداذبه في المسالك والممالك، ومن ابن ماجد في كتابه ثلاثة أزهار في معرفة البحار. ثم دعم هذا بالعلم الحديث حتــى أصــبح جغــرافياً ذا شــهرة عالمــية، وأديباً ممتازاً، فكان يكتب الجغرافيا بلغة أدبية.

ولــد محمد عوض محمد بمدينة المنصورة في سنة ١٨٩٥، وفي الكــتاب حفــظ القــرآن الكــريم، وألمّ بمبادئ الحساب، والتحق بالتعليم الابتدائــي بعد ذلك حصل على الشهادة الابتدائية سنة ١٩٠٩، ثم التحق بالمدرســة العباســية الثانوية في تلك السنة، ونال منها شهادة الدراسة

الـثانوية (القسم الأدبي) عام ١٩١٣، ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا، واعـتقل وهـو في السنة النهائية بسبب نشاطه ضد المستعمر وعملائه، فـتعطل عن دراسته أربع سنين، ولم يحصل على دبلوم المعلمين إلا في سـنة ١٩٢٠. ثم أرسل بعد ذلك في بعثة دراسية إلى إنجلترا للتخصص فـي مـادة الجغـرافيا، فحصـل من جامعة ليفربول على البكالوريوس بمـرتبة الشـرف سنة ١٩٢٤، وشهادة "الماجستير" سنة ١٩٢٦، وفي نفـس تلك السنة حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن، وعاد من البعـثة في أكتوبر سنة ١٩٢٦. وقد زامله العديد من أبناء جيله في هذه الـرحلة. كانـوا يلتقون في النادي المصري بلندن تجمعهم جلسات يوم الأحد على مائدة الغداء المصري.

تـنقل محمـد عـوض محمد في عدة مناصب منها: مدرس بكلية الآداب بجامعة القاهرة من سنة ١٩٢٦ بعد عودته إلى سنة ١٩٢٨، ثم مـدرس بمدرسـة الـتجارة العلـيا فـي نفس الفترة، ثم أستاذ مساعد للجغـرافيا بجامعة القاهرة من سنة ١٩٢٨ حتى سنة ١٩٣٨، وفي سنة ١٩٣٨ عـين أسـتاذاً للجغـرافيا بكلية الآداب ثم رئيساً لقسم الجغرافيا مـن سـنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٤٨، وساعد في هذه الفترة على إنشاء معهد الدراسات السودانية، كما عين مديراً عاماً للثقافة بوزارة المعارف فـي المـدة مـن سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٥٠، وفي نفس السنة عين أسـتاذاً بمعهـد الدراسـات السودانية ومديراً للمعهد، وفي سنة ١٩٥٣ عـين مديـراً لجامعة الإسكندرية وظل في هذا المنصب إلى أن عين في أبـريل سـنة ١٩٥٤ وزيـراً للمعـارف ثم استقال آخر أغسطس سنة ١٩٥٤. ومـنذ شـهر سـبتمبر سـنة ١٩٥٤ إلى يوم وفاته كان يعمل

أســـتاذاً غيـــر متفـــرغ بكلية الآداب، بجامعة القاهرة. كما تولى الدكتور عـــوض عـــدة أعمال إضافية بجانب الوظيفة الرسمية منها: مدير مكتبة الجامعـــة لمـــدة عـــام دراســـي. ومدير مراقبة النشر سبعة أشهر سنة ١٩٤٠ إلـــى سنة ١٩٤١، كما اختير مرة أخرى لهذا المنصب مدة سنة ونصـــف السنة حتى انتهت الرقابة التي فرضت في أثناء الحرب العالمية الثانـــية، كمـــا اختير خبيراً بوفد مصر في مؤتمر "سان فرنسيسكو" سنة ١٩٤٥، وفـــي ســـنة ١٩٤٦ اختيـــر مديـــراً لشـــعبة العلوم الاجتماعية لمـــنظمة اليونســـكو، وهـــي إحدى الهيئات المتخصصة في أسرة الأمم المتحدة.

وبـــذلك بـــدأ اتصاله بتلك المنظمة فكان عضواً في وفد مصر في المؤتمـــرات العامة لليونسكو التي عقدت سنة ١٩٤٨ في بيروت، وسنة ١٩٤٩ فـــي بـــاريس، وســـنة ١٩٥٠ في فلورنسا، ثم كان نائباً لرئيس الـــوفد ســـنة ١٩٥٢، ورئيساً لوفد جمهورية مصر سنة ١٩٥٤، وسنة ١٩٥٦، ثـــم نائباً لرئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٨، وســـنة ١٩٦٠، وســـنة ١٩٦٢، وسنة ١٩٦٤، وفي سنة ١٩٥٤ أثناء المؤتمـــر المـــنعقد في منتفديو، انتخب عضواً في المجلس التنفيذي لمدة أربـــع ســـنين طـــبقاً للقانون، ثم جددت العضوية سنة ١٩٥٨، وانتخبه المجلـــس نائـــباً للـــرئيس عـــن سنتي ١٩٥٩، ١٩٦٠ ثم انتخب رئيساً للمجلـــس عن عامي ١٩٦١، ١٩٦٢ وطبقاً للقانون انتهت عضويته في المجلس.

وفـــي ســـنة ١٩٦٣ اخـــتارته منظمة العمل الدولية بجنيف لكي يـــتعاون مع حكومة السودان في معالجة مشكلة استقرار البدو في منطقة

الـسبطانة، فســافر لمدة شهرين، وعاش في تلك المنطقة ودرسها ثم عاد إلــى جنــيف وقــدم تقريره إلى المنظمة، وعرض على حكومة السودان التقريــر فقبلــته، وســلك طــريقه إلى التنفيذ، ثم انتخبته منظمة الأمم المــتحدة بنــيويورك عضواً في لجنة متخصصة لكي تدرس وسائل منع التفــرقة وحماية الأقليات، وبقي عضواً فيها حتى وفاته. وفي يناير سنة ١٩٦٤، أبلغــته الأمم المتحدة أن المجلس الاقتصادي والاجتماعي مهتم بمشــكلة الــرقيق، وعــرض علــيه أن يكــون المقرر الخاص للمجلس الاقتصــادي والاجتماعــي في هذا الموضوع، وظل يؤدي واجبه في هذه الناحــية بــالاطلاع علــى التقارير وتلخيصها وتقديمها للمجلس، حقبة طويلة. وقد نال جائزة الدولة للعلوم الاجتماعية سنة ١٩٥٢، كما حصل علــى نــوط الجــدارة مــن الدرجة الأولى سنة ١٩٥٤، وعين عضواً بالمجمــع في سنة ١٩٦١ ضمن العشرة الذين عينوا بالقرار الجمهوري الــذي صــدر بمناســبة تعديل قانون المجمع، كما عين عضواً بالمجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦٢.

وللدكــتور محمــد عــوض محمد نشاط علمي وثقافي كبير، فله أحاديــثه الإذاعية الكثيرة، كما نشر عدة مقالات في الصحف والمجلات، ولــه كــتب مترجمة أو مؤلفة في الجغرافيا وبعضها في الأدب، منها ما كتــبه بالعــربية ومنها ما كتبه بالإنجليزية، نذكر منها: كتاب نهر النيل، وكــتاب ســكان هذا الكوكب، وكتاب الجغرافيا العامة بالاشتراك، وكتاب عــن الســودان بعــنوان الســودان الشمالي، وكتاب آخر عن السودان بعــنوان الســودان ووادي النــيل، ثــم كــتاب الاســتعمار والمــذاهب الاســتعمارية، وكــتاب الصــهيونية في نظر العلم، ثم نقل عن الألمانية

كـتاب فاوسـت تألـيف جوته، ثم مجموعة رسائل وقصص بعنوان من حـديث الشـرق والغرب، ثم قصة سنوحي (قصة مصرية)، ثم نقل عن الإنجليـزية كتاب النقد الأدبي (لان بروكرومي)، ثم كتاب ملكات الجمال، ثـم كـتاب فـن المقالة الأدبية، ثم نقل من أعمال شكسبير: الملك جون، وهنـري الخامس، وهاملت، ثم ترجم عن فاوست: الجزأين الأول والثاني مـن كتابه بحث في سلسلة تراث الإنسانية، ثم كتاب الشعوب والسلالات الإفريقية.

اختيـر الدكتور محمد عوض محمد في عدة لجان في مجمع اللغة العـربية مـنها: لجـنة الجغـرافيا وكان مقررها، ولجنة المعجم الكبير، ولجنة الأدب كما ألف كتباً في " شعر المتنبي الذي أنشأه لنفسه ".

توفـي محمد عوض محمد عام ١٩٧٢، وكان رحمه الله شخصية عالمـية فـذة، وعلَم من أعلام الجغرافيا، وأديباً كبيراً وكاتباً وناقداً، له قلـم مـرموق، وأسلوب رشيق لا يخلو من فكاهة، وإن كان فكاهته من ذلك الطراز الهادئ الرزين.

محمد عبد الله عنان

عمدة مؤرخي الأندلس



محمد عبد الله عنان

مُـنح جائـزة الدولـة التقديـرية في الآداب وهو في الثمانين من عمـره، وكان تلاميذه وأبناؤه من الذين يجيدون السير في دهاليز وزارة الـثقافة ودهاليـز المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، وقد حصلوا علـى الجائزة دون أن يكون لديهم مثل ما لديه من علم ومعرفة، ودون أن يكـون لديهم ما لديه من إنتاج، دائماً كانوا يجيدون الدعاية والإعلام، كمـا كان لديهم البريق اليومي. وهكذا قدر لمناضل قديم سواء اتفقنا أو اختلفـنا معـه، وقدر لمؤرخ كبير سواء عرفناه أو لم نعرفه، قدر له أن يـتقدم إلـى جائـزة الدولـة التقديرية ويخفق في الحصول عليها مرات ومـرات عديدة حتى أصبح الأمر غاية للخجل عند الذين يملكون أصوات منح تلك الجائزة.

كـان يمشـي متكئاً على ذراع تلميذه وصديقه حسين فوزي النجار فـي شـوارع القاهـرة المـزدحمة بمن يجهلونه، كان المرض يناوشه يحـاول الانتصـار علـيه. لكنه كان وديعاً وقوراً، يذكّرك بالتاريخ الذي عاشـه فتـتأمل هـذا الـرجل، وتتسـاءل :.. أهذا من كان خلف عمال الإسـكندرية، وهم يرفعون الراية الحمراء على مصانع الإسكندرية؟ أهذا محمـد عـبد الله عنان الذي بدأ حياته ماركسيّاً يقود حزباً اشتراكيّاً. ثم تحول إلى أقصى أطراف اليمين؟!! نعم هو هذا الرجل!

ولـد محمـد عبد الله عنان في سنة ١٨٩٨ بقرية بشلا مركز ميت غمـر بمحافظـة الدقهلية، وقد تلقى تعليمه الأول في كتاب القرية وحفظ

مـــا تيســـر مـــن القـــرآن، ثم انتقلت الأسرة إلى القاهرة فتلقى دروسه الابتدائـــية فـــي مدرسة العقادين الأميرية، ثم انتقل إلى مدرسة الخديوية الـــثانوية، ثـــم التحق بمدرسة الحقوق لدراسة القانون وتخرج منها سنة ١٩١٨، وآثـــر الاشتغال بالمحاماة ثم اجتذبته الكتابة والترجمة، واختار لنفســـه ميدان التاريخ حتى أصبح يعرف به دون القانون، ثم عمل بإدارة المطـــبوعات قـــبل الحرب العالمية الثانية، وترقى فيها حتى صار وكيلاً لهـــا، ثم نقل إلى وزارة المعارف مراقباً للثقافة العامة واستقال منها بعد ذلـــك حـــيث تفـــرغ لبحوثه التاريخية. وانتخب لعضوية المجمع في سنة ١٩٧٦ فـــي الكرســـي الـــذي خلا بوفاة المرحوم عبد الحكيم الرفاعي، وشـــارك فـــي العديد من لجان المجمع كما أنه له نشاط علمي وافر، له أكثـــر مـــن عشـــرين مـــؤلفاً تعد من المؤلفات البارزة في مجال تاريخ الإســـلام في العصور الوسطى، سواء في مصر أو في الأندلس، وأكثرها فـــي تـــاريخ الأندلس، هي على النحو التالي: السرية والحركة الهدامة، ومواقـــف حاســـمة فـــي تاريخ الإسلام (بالعربية والإنجليزية)، وديوان التحقيق والمحاكمات الكبرى، ومصر الإسلامية، وتاريخ الخط المصري، وكـــتاب: مؤرخـــو مصـــر الإسلامية، والحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمـــية، وكـــتاب تاريخ الجامع الأزهر، وابن خلدون حياته وتراثه الفكـــري، ودولة الإسلام في الأندلس (جزآن)، ودولة الطوائف، ثم كتاب عصـــر المـــرابطين والمـــوحدين في المغرب والأندلس، ونهاية الأندلس وتـــاريخ العـــرب المنتصرين، وكتاب الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا، ثـــم كـــتاب لســـان الدين لابن الخطيب (حياته وتراثه الفكري)، ثم حقق كـــتاب الإحاطـــة فـــي أخبار غرناطة، ثم كتاب تراجم إسلامية شرقية

وأندلســية، ثم حقق كتاب ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب (لابن الخطيب) ومأســاة ما يرلنج، ثم كتاب المذاهب الاجتماعية الحديثة، ثم أخيراً كتاب المآســي والصــور الغوامض. هذا ما أضافه إلى المكتبة العربية محمد عبد الله عنان.

نشــط الأجانــب في مصر في اتجاه تأسيس خلايا شيوعية، وأبرز هــؤلاء جمــيعاً شخصية غامضة اسمها روزنتال الذي كان يحرك بعض الجماعــات مــن الأرمــن واليونانيــين والإيطاليــين والروس في اتجاه تأسيس نقابات عمالية، وفي اتجاه تحريض النقابات على الأحزاب، وفي اتجــاه تجمــيع عــدد مــن المثقفين المصريين لتأسيس حزب شيوعي مصــري. وفــي أغســطس ســنة ١٩٢١ يصــدر بيان بتكوين (الحزب الاشــتراكي)، والعناصر المؤسسة له هم: علي عناني، وسلامة موسى، ومحمــد عبد الله العنان، وحسن العرابي. ولكن صراعاً غريباً يدور بين هــؤلاء المصــريين، بــين بعضهم والعناصر الأجنبية التي وقفت خلف الحــزب؛ فســلامة موســى يــبدو أنه من العناصر التي تكتفي بالدعاية لأفكارهــا ولا يرغب أن يحكمه تنظيم معين. فيشن حملة ضد (البلشفية) ويعلن أن أي نشاط شيوعي في مصر يضر بقضية البلاد الوطنية، ويبرر مــوقفه فــي أنه كان يرغب في تأسيس جمعية وليس في تأسيس حزب، وينسحب سلامة موسى من الحزب ليتفرغ لعمله الصحفي.

أمــا عــبد الله عنان الذي ظهر اسمه كسكرتير للحزب في فترة ما فإنــه بعــد أن ظــل يدافــع عن الحزب ويجد المرفأ لدى حزب الأحرار الدســتوريين وفــي جريدته السياسية اليومية والأسبوعية. كان روزنتال ومجمــوعة الأجانــب يصــرون علــى تغيير اسم الحزب الاشتراكي إلى

الحـــزب الشـــيوعي وأن ينضـــم إلـــى الشيوعية الدولية (الثالثة)، وكان يـــؤيدهم فـــي هذا الاتجاه محمود حسني العرابي، وتزعم محمد عبد الله عنان المعارضة وانفصل مثل سلامة موسى.

واتضـــح أن الصراع كان يدور حول منصب سكرتير الحزب.. كان ســـلامة موســـى يرى أنه أجدر العناصر به، وكانت الصحف قد أشارت إلـــى أن ســـكرتير الحـــزب هـــو علي العناني وينشر سلامه بياناً يوقعه باســـمه كسكرتير للحزب. وانتهى هذا الصراع حول المنصب بأن اختار الأعضـــاء محمـــد عبد الله عنان سكرتيراً، وكان للحزب الاشتراكي مقر في ذلك الوقت يقع بجنينة الناصرية بالسيدة زينب بالقاهرة.

حيـــنما انـــتقل محمـــد عبد الله عنان إلى حزب الأحرار الدستوريين وجـــد مكانه داخل جريدة الحزب السياسية اليومية الأسبوعية إلى جانب محمـــد حســـين هيكل، والدكتور محمد صبري السربوني، ومصطفى عبد الـــرازق، ومحمـــد عزمـــي، وإسماعيل مظهر، وفكري أباظة، ومحمود تيمور.

وفـــي أوائل الستينيات طلب المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب مـــن الدكتور مهدي علام تأليف لجنة يشترك فيها عضو من كل لجنة من لجـــان المجلـــس لتخـــتار أسماء الأبطال في التاريخ العربي والإسلامي، وكـــان محمد عبد الله عنان ممثلاً للجنة التاريخ، وحدث أن كان من بين الأســـماء المقتـــرحة للاحتفال ببطولتها اسم سليمان الحلبي قاتل كليبر، القائـــد الفرنســـي الـــذي ناب عن نابليون في الحملة الفرنسية، فعارض محمـــد عبد الله عنان قائلاً: نحن لا نؤيد الاغتيال السياسي، ولا يليق أن نعـــد هذه الشخصيات من بين أبطال الإسلام. ووافقت اللجنة على رأيه،

فإلى هذا الحد كان الرجل في شيخوخته حريصاً على إرساء ما يؤمن به من أفكار إنسانية تبتعد بالإنسان عن الاغتيال السياسي.

هكـذا بـدأ حياته ماركسيًا وزعيماً لحزب شيوعي، وانتهى مؤرخاً عـربيًا إسـلاميًا، بـدأ حياته محرضاً على الثورة، وانتهى حنوناً وديعاً رقـيقاً. بـدأ حـياته يمـيل إلـى موسكو حيث ثورة أكتوبر الاشتراكية، وانتهـى عاشـقاً لمديـنة القاهرة قلب العروبة والإسلام، داعياً ولإحياء عـيدها الألفـي. بـدأ محمـد عـنان مفكراً ماديًا، وانتهى محبًا للأزهر الشـريف وكاتـباً لدراسـة عـن تاريخه من أروع الدراسات عن رحلة الأزهـر عبـر ألـف عـام، بعـد كتابه تاريخ الجمعيات السرية وتاريخ المؤامـرات السياسية، وانتهى كاتباً لتاريخ الإسلام في الأندلس ولتراجم إسـلامية شرقية وأندلسية. ظل محمد عبد الله عنان وقوراً معتزًا بنفسه حتـى رحـل فـي يناير ١٩٨٦. رحم الله محمد عبد الله عنان بقدر ما أعطى كواحد من أعظم المؤرخين المصريين في كل العصور.

توفيق الحكيم

عدو المرأة



توفيق الحكيم

وضـــع لـــزواجه شـــروطاً صـــعبة، وأصرّ على أن توقع زوجته بإمضـــائها علـــى كل شرط من هذه الشروط، قبل أن يوقع هو على عقد الزواج، كانت الشروط قاسية وكثيرة، قبلتها الزوجة شرطاً شرطاً والتي جملــتها خمسة عشر، ولكنها بذلت جهوداً مضنية شيئاً فشيئاً وسنة بعد ســنة حتـــى ألغــتها جمـــيعاً كمـــا قبلتها جميعاً، وأول ما ألغته من هذه الشـــروط "شـــراء ســـيارة". ذهبت بعد موافقته فاختارت سيارة إنجليزية الصـــنع من أغلى السيارات في تلك الأيام وكان ثمنها خمسة آلاف جنيه، ومـــا كـــادت تخبره بثمنها حتى ذعر، وبعد مفاوضات بين الطرفين قال لها: إني سأوقع الشيك بإمضائي فقط ولكن لن أكتب الخمسة آلاف جنيه بخـــط يـــدي؛ لأنـــي لـــو فعلت ذلك ستصاب يدي بالشلل. فهو الذي كان يخـــرج مـــن بيته في الساعة الثامنة صباح كل يوم ويمشي على قدميه إلـــى مكتبه بأخبار اليوم، ثم يبقى فيه حتى الساعة الأولى بعد الظهر، ثم يعـــود مشـــياً علـــى الأقدام إلى بيته لتناول الغذاء ثم بعد ذلك يجلس إلى مكتـــبه يقـــرأ ويكتب إلى منتصف الليل، فقد كانت حياته كالساعة التي لا تقـــدم ولا تؤخر، كان لا يكتب وهو في الجريدة، بل يمضي وقته يتحدث ويـــناقش وينقد ويتخانق، فقد كان مكانه المختار في غرفة المحررات في أخـــبار الـــيوم، وكان يجد المتعة كل المتعة في مجالستهن، ومحاورتهن، وإثـــارتهن غضباً بهجومه المستمر على المرأة. حتى لقب بعدو المرأة، ولكـــنه حيـــنما تـــزوج، تزوج من امرأة ممشوقة القوام، فاتنة الجمال،

شـــقراء الشعر، تجمع في شعرها خليط من اللون الأصفر واللون البني، كمـــا كانـــت لها ابتسامة جذابة تأسر القلوب فاستولت على قلبه وبنانه، قالـــت لـــه: احذر أن تحني رأسك أمام عبد الناصر وأنت تتسلم القلادة، قـــال لها: كيف لا أنحني له وهو رئيس الجمهورية، وزعيم الأمة العربية وقائد انتظرته مصر طويلاً، قالت له: إنك أهم رجل في الدنيا. فلم ينحنِ.

كـــان ذلك هو حسين توفيق الحكيم المولود بمدينة الإسكندرية في ســـنة ١٨٩٨، والذي تلقى دراسته الابتدائية بدمنهور، ودراسته الثانوية بمدرســـة العباســـية الـــثانوية بالإســـكندرية، ثم التحق بمدرسة الحقوق بالقاهـــرة، وبعد تخرجه منها عين وكيلاً للنائب العام في ريف مصر لمدة خمـــس سنوات، ثم مديراً للتحقيقات بوزارة المعارف (التربية والتعليم)، ومديـــراً للإرشاد الاجتماعي بوزارة الشيءون الاجتماعية، ثم ترك العمل الحكومـــي فعمـــل مديـــراً عاماً لدار الكتب المصرية، ثم عضواً متفرغاً بـــالمجلس الأعلـــى لـــرعاية الفـــنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة ١٩٥٦ حتى بلغ الستين، فأصبح عضواً غير متفرغ به.

وقـــد انـــتدب مندوباً دائماً في اليونسكو بباريس عن الجمهورية العـــربية المـــتحدة، وانتخـــبه مجمع اللغة العربية عضواً عاملاً به سنة ١٩٥٤ في المكان الذي خلا باستقالة المرحوم واصف غالي.

شـــمل نشـــاط الأســـتاذ توفيق الحكيم مختلف الأنواع الأدبية؛ في الـــرواية والقصـــة القصـــيرة والمقال، وهو يعد في طليعة الرواد الذين عـــنوا عناية خاصة بالأدب المسرحي، فمن المعروف أن المسرح العربي – قـــبل ســـفر الحكيم إلى فرنسا وحتى بعد عودته منها – قد ساده ذلك اللـــون مـــن المســـرحيات الجماهيـــرية التي تقوم على مجرد الحوادث

المثيـــرة والحـــركات والمفاجـــآت، ولا تعـــرف الحوار القائم على الفكر والأدب والـــتأمل والفلسفة. عاد الحكيم من فرنسا بعد أن شاهد المسرح فـــي عاصـــمتها بـــاريس مدينة النور والأضواء والفنون، وبعد أن طالع ودرس وقـــرأ كومـــيديات برنارد شو وأندريه روسان وموليير وراسين وكورنـــي ونـــوبل كـــوارد وشكسبير وأبسن وعشرات غيرهم من كتّاب المســـرح العالميـــين، وعكـــف علـــى وضـــع بعض المسرحيات باللغة الفرنســـية، ثم لم يلبث أن مزقها الواحدة تلو الأخرى، وظل يكتب العمل الـــواحد بكثيـــر من الأشكال قبل أن يصل إلى أسلوب فني يرضيه، فكتب مســـرحيات تقـــرأ علـــى أنها أدب وفكر وحوار فلسفي ومتعة عقلية لا مســـرحيات تعـــتمد علـــى "التشـــخيص" الجماهيـــري "والحدوتة" والفن الترفيهـــي التي كان سائداً في تلك الأيام لتسلية الجماهير العادية. وكانت أول مســـرحية ألفهـــا ســـنة ١٩١٩ بعنوان "الضيف الثقيل" والتي كانت ترمـــز إلى احتلال الإنجليز لمصر، لكن الرقابة منعت تمثيلها، كذلك عالج مـــن خـــلال مسرحه القضايا الاجتماعية التي تمس حياة الشعب من ظلم وفساد وفوضى وغيرها.

وباكـــورة أعماله في هذا الاتجاه رواية "أهل الكهف" التي ضمنت لـــه احتـــرام الأدبـــاء وجمهـــور النظارة القليل الذي جاء يشاهدها لدى تقديمها على مسرح الفرقة القومية في افتتاحه عام ١٩٣٥.

كـــتب توفيق الحكيم ما لا يقل عن ستين مسرحية تتناول مختلف الأنـــواع، لـــيس المســـرح فقـــط كما ذكرنا سابقاً، ونورد هنا طائفة من مـــؤلفاته علـــى سبيل الذكر وليس على سبيل الحصر: محمد، شهرزاد، يومـــيات نائـــب في الأرياف، عصفور من الشرق، أهل الكهف، سليمان

الحكيم، من البرج العاجي، الملك أوديب، مسرح المجتمع (ويشمل إحدى وعشـــرين مســـرحية)، أرني الله، عند الأدب، حمار الحكيم، عدالة وفن، التعادلـــية، زهـــرة العمـــر، الـــرباط المقـــدس، يا طالع الشجرة، الأيدي الـــناعمة، عـــودة الـــروح، الصـــفقة، السلطان الحائر، الورطة، مجلس العـــدل، الطعام لكل فم، قالبنا المسرحي. وقد ترجم كثير من مؤلفاته إلى لغـــات عـــدة: مـــنها الإنجليـــزية، والفرنســـية، والروسية، والإيطالية، والأسبانية، والألمانية، والسويدية.

كمـــا فعـــل كثير منها على مسارح أوربا وقام بتمثيلها بعض من كبار الممثلين العالميين، كالسير جون جيلجوه.

ولقـــد قدرتـــه الدولـــة حق قدرته ومنحته وسام قلادة الجمهورية تقديراً لخدماته للأدب والفكر سنة ١٩٥٨، وفاز بجائزة الدولة التقديرية فـــي الآداب عـــام ١٩٦٠، مـــن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

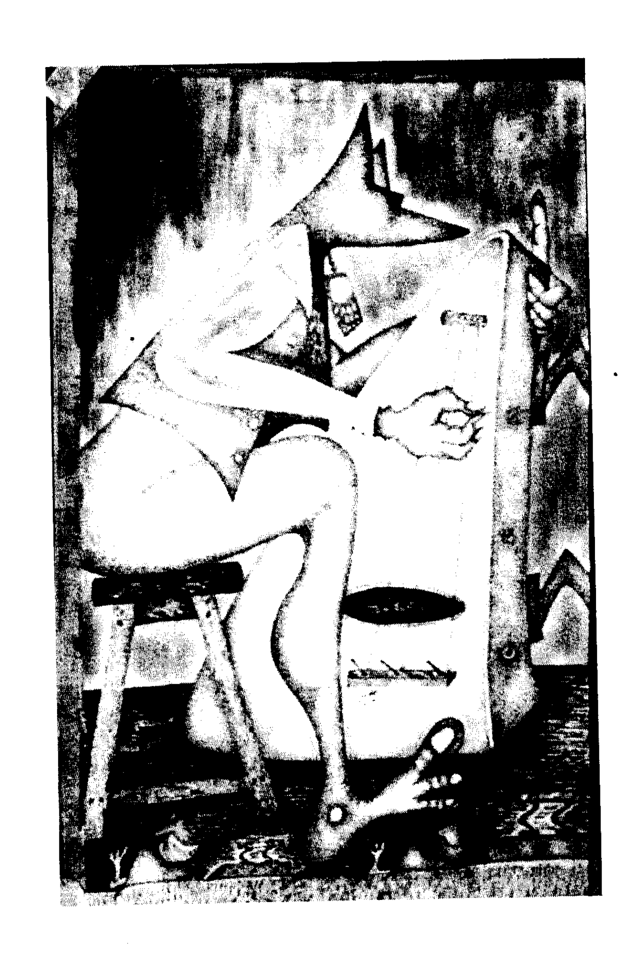
كـــان توفـــيق الحكـــيم كاتباً يحاول أن ينشيء فن التمثيل باللغة العـــربية، لا يتـــرجم ولا يقلد فيه ولا يتكلف ما كان يتكلف الكتاب الذين يحاولـــون أن ينتخـــبوا فـــي التمثيل، وإنما يقبل عليه كأنما خلق له منذ خلـــق، ويتصـــرف فـــيه كأنما خلق ليتصرف فيه، وليكون كاتباً ممثلاً لا يظهـــر الـــتكلف فـــي حرف من حروف هذه القصة، ولا يظهر التعب ولا الكـــد فـــي شـــيء مـــن هذه القصة، وإنما هي تأتي يسيرة سهلة كأنما أوحيت إليه أو كأنما ألهمها إلهاماً.

ويكـــاد كـــل من كتب من الأدباء والنقاد عن توفيق الحكيم، يجمع علـــى أنـــه كاتـــب المسرح الفكري الذي أدخل النص الدرامي في الأدب

العربـــي الحـــديث كفـــن من فنون القول لا التمثيل، بل إن الحكيم – كما يقـــول الدكتور علي الراعي في كتابه "توفيق الحكيم: فنان الفرجة وفنان الفكـــر" – هـــو الـــذي أطلق على مسرحه صفة المسرح الذهني، فتابعه الـــناس في هذا من نقاد وحرفيين، ويعلل توفيق الحكيم كتابة ذلك اللون مـــن المسرحيات التي تقرأ ولا تمثل بقوله "يصفونني بأنني أكتب مسرحاً فكـــرياً، الواقع أن كل مسرح عظيم هو مسرح فكري من سوفوكليس في اليونان القديمة إلى تشيكوف وأبسن في العصر الحديث".

الشرباصي

حامي حمى الإقطاع !



الشرباصي

في ٤ أبريل سنة ١٩٧٤ كتب عريضة بخط يده ووقع العريضة معه كل من: الدكتور مصطفى خليل، وعبد اللطيف البغدادي، وكمال الدين حسين، وصلاح الدسوقي، ومدكور أبو العز، وعصام الدين حسونة، ورفض فتحي رضوان التوقيع معهم، وقد سلم المذكرة عبد اللطيف البغدادي إلى محمود أبو وافيه في مظروف مغلق أمام وزارة الزراعة بالدقي كي يقدمها إلى السادات.

وقد أوضحت العريضة أن مصر لم تعرف محنة كتلك المحنة التي تمر بها. الغزو الإسرائيلي يدنس جزءاً غالياً من أرض مصر، والولايات المتحدة الأمريكية تقدم لإسرائيل من العون القذر الذي يغريها بالمزيد، والاتحاد السوفييتي يقدم لنا من العون القدر الذي لا يسمح بتحرير الأرض. والدول العربية لم تستجمع بعد قواها، وأن البناء الداخلي يوشك أن ينقضّ. وأن الطريق إلى النصر لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون طريق الهزيمة. لقد آن الأوان لأن ترسم سياسة التحرير الوطني على أساس أن قوى مصر الذاتية وحدها هي الركيزة الأولى والأمينة لتلك السياسة، وانتهت العريضة بدعوة كل الشخصيات الوطنية، التي عرفت بولائها لمصر ولثورة ٢٣ يوليو لمناقشة شيءون الوطن العامة، وتشكيل جهة وطنية تتولى تخطيط سياسة النضال الوطني من أجل التحرر.

قال السادات أمام مجلس الشعب: إن أصحاب العريضة يريدون

فرض وصاية على البلد. وأصبحت العريضة مغمورة.

كـان هـذا هـو أحمـد عبده الشرباصي والذي ولد بكفر ذكري بمحافظـة الدقهلـية في أبريل سنة ١٨٩٩، وتلقى تعليمه الأولي بقريته وبقـريتين مجاورتين لها هما: منشأة عاصم، وميت الخولي عبد الله، ثم بعـث بـه والـده إلى مدرسة المنصورة الابتدائية، وبعد أن حصل على الشـهادة الابتدائـية سنة ١٩١٤ انتقل إلى القاهرة حيث التحق بمدرسة ثانـوية أهلية أنشأها أوائل الخريجين في دار العلوم والمعلمين العليا، ثم الـتحق بعد حصوله على شهادة الكفاءة بالمدرسة الثانوية الكبرى، وهي مدرسـة أهلية، وكان الأستاذ المرحوم الشيخ محمود مصطفى أستاذه في اللغـة العربية، وعنه أحبّ مطالعة الشعر الجاهلي حتى حفظ كثيراً منه، ومـنه بعض المعلقات، ثم حصل على الشهادة الثانوية والتحق بمدرسة المعلمـين العليا سنة ١٩١٨، وجاءت بعد ذلك ثورة ١٩١٩ فاشترك في المظاهـرات التـي شبت يوم ذاك فاعتقل وسجن في المحافظة ثم القلعة، وتـتابعت الأحداث السياسية وحرم من الامتحان، فترك مدرسة المعلمين العليا والتحق بمدرسة الهندسة، وتخرج فيها سنة ١٩٢٤.

وفـور تخرجه التحق بتفتيش الري بالمنصورة، ثم تنقل بعد ذلك في كثير من أنحاء القطر المصري، وارتقى كثيراً من المناصب في إطار مهنـته، وفـي سـنة ١٩٥٣ كـان يعمـل مساعداً للمفتش العام للري المصـري بالسودان، فاستدعته حكومة الثورة في القاهرة ليشغل منصب وزيـر الأشغال، وهي وزارة ألغيت الآن وانتقل اختصاصها إلى وزارات أخـرى أهمها وزارة الري، فقام بالعبء الذي ألقي على عاتقه خير قيام، فأسـهم فـي مشـروعات الري والصرف الزراعي التي تمت في أعقاب

الـثورة، كما شارك في دراسة السد العالي، ثم اختارته الثورة عضواً في مجلـس الرياسـة، ثـم بعـد ذلـك نائباً لرئيس الوزراء لشئون الأزهر والأوقـاف ووزيـراً للأوقـاف. وقد رأى فيه مجمع اللغة العربية الأديب الراسـخ، والـبحاثة العميق الغيور على لغة الضاد، فضمه إلى أعضائه سـنة ١٩٦٤، وكـان الأسـتاذ المهـندس أحمـد عبده الشرباصي من المعـروفين بحـب الأدب والرسـوخ فـيه. ومنذ أن انضم إلى عضوية المجمـع وهـو يشـارك مشاركة فعالة في أعمال المجلس والمؤتمرات واللجان، وعلى الخصوص لجنتا الرياضة والهندسة. ولا تخلو دورة من دورات المجمع من عرض مصطلحات الهندسة بفضل جهوده ومشاركته في أعمالها.

خـلال مـدة الحكم وهي ١٣ سنة لم يكن الشرباصي مجرد وزير يؤمر فيأتمر، ولم يكن مجرد موظف استدعي ليكون وزيراً فحرص على المنصـب، وإنمـا كـان وطنـيّاً له منهجه، وفيّاً له مواقفه، ومفكراً له اتجاهاتـه. وبعـد أن ترك الحكم بسنوات ست، وعندما شعر بأن الوطن فـي حاجـة إلـى كلمة مخلصة منه، كتب العريضة بخط يده لتسلم إلى السـادات، وكانـت السـلطات قد فرضت عزلة على الشيخ أحمد حسن الـباقوري نتـيجة لوشـاية فانصـرف عن الصحاب والأصدقاء، إلا أن الشرباصـي أصـر علـى أن يـزور صديقه وبصفة متصلة، وأبلغ ذلك للسـلطات التـي تظاهرت بالموافقة، وعندما كان وزيراً مركزياً للأشغال توفـي رئـيس الوزراء الأسبق المهندس حسين سري، وعلى الرغم من موقـف رجال ٢٣ يوليو منه، ذهب الشرباصي وألقى كلمة رثاء منها: " أعـز هـذه الذكـريات ذكرى ترجع إلى ثلاثين عاماً خلت، ونحن يومئذ

مهندســـون ناشيءون، وإذ به يدخل المكتب المتواضع ويفاجئني بقوله: يقولـــون بأنـــك امـــرؤ مغرور، ويلمح انقباضي وازوراري، فيلتفت إلي مخاطـــباً: إن ما يسمونه غروراً أسميه ثقة بالنفس، فلا تبالِ بما يقولون وسـِـر فـــي طريقك. وقد مال أحمد عبده الشرباصي في القديم إلى حزب الأحــرار الدســـتوريين، وكـــان يـــؤمن أنهم الذين أتوا بالدستور للبلاد، ولـــذلك كـــان فـــي شبابه على خلاف مع عثمان محرم لاختلاف الميول الحـــزبية لـــدى كـــل منهما، ولما توفي عثمان محرم وكان يعمل وزيراً للأشـــغال فـــي يـــوم من الأيام، والذي عند وفاته كان الشرباصي وزيراً للأشغال والري، رثاه وأشاد به، وحينها قال له البعض: كيف وهو وزير فـــي ثـــورة حاكمـــت عـــثمان محـــرم، وكيف وهو من أعضاء الأحرار الدســـتوريين يقـــوم بـــرثاء عـــثمان محرم من قادة الوفد ؟ فيرد عليهم بهـــدوء وثقة: هذا لا يمنع أن نذكر آثار الرجل على مصر. وكانت كلمة الشرباصـــي فـــي رثـــاء عثمان محرم من الكلمات المنصفة التي أبانت بـــياض صفحة أحد كبار الوفديين، وسجل أن عثمان محرم هو الذي بدأ الإســـكان الشـــعبي قـــبل أن تبدأه وزارات ثورة ٢٣ يوليو. وأطلق عليه عـــبد الحكـــيم عامر لقب حامي حمى الإقطاع، وقالوا للزعيم جمال عبد الناصر إن الشرباصي يشنع على لجنة تصفية الإقطاع في قلب الوزارة، كـــان عـــبد الحكيم عامر هو رئيس لجنة تصفية الإقطاع ومعه عدد كبير مـــن ذوي الجـــاه والســـلطان، ورأى الشرباصي أن هذه اللجنة لا تسير حســـب القانـــون، ولا حتى قانون الإصلاح الزراعي. كان الناس يذهبون إلـــى الشرباصـــي ويـــبحث معهم الشكاوى والمستندات، ويحدد جوانب الخـــروج علـــى القانـــون، ويرســـل نسخة إلى عبد الحكيم عامر بصفته

رئيســاً للجنة تصفية الإقطاع، وصورة للرئيس جمال عبد الناصر بصفته رئيســاً للدولــة، ولكنه لاحظ أن المشكلات قبل أن تصل إلى عبد الناصر تعبث بها أيادٍ كثيرة، فتصل الصورة مشوهة، وتجيء أحكام عبد الناصر حســب آخــر صورة وصلت إليه، ولكن عبد الناصر أنصف حالات كثيرة وصــلت إلــيه ممــا أثار اللجنة على المهندس الشرباصي. وقد توثقت الصــلة بــين عبد الناصر والشرباصي ونشأ بينهما احترام متبادل؛ لأن الشرباصــي له منطق في تفكيره وليست له مصالح شخصية أو خاصة، كما أنه قوي الحجة.

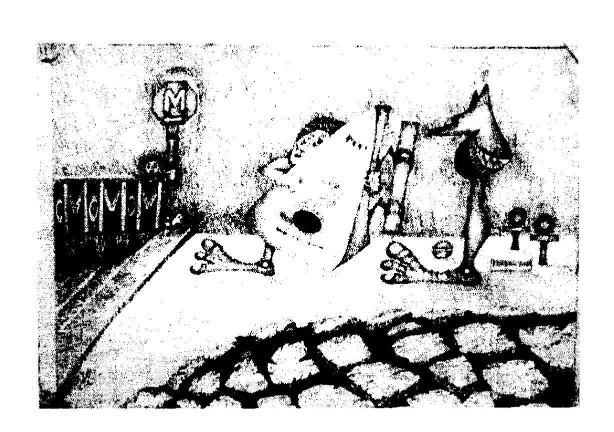
وكــان للشرباصــي في بيته بمصر الجديدة ندوة أسبوعية يلتقي فــيها برجال الفكر والثقافة الرفيعة، فهو عالم جليل واسع الأفق، يتحدث مــع زملائــه وأصــدقائه وتلاميذه في الشريعة وفي الشعر وفي الأدب، وجلســاته: حافلة بالحوار مع المتخصصين في الفقه والتفسير والبلاغة والــنحو، وكــان مــن أصــدقائه وجلســائه المرحوم الشيخ عبد الجليل عيســى، والمــرحوم عــبد الرحمن الجويلي، ولأنه يتمتع بحس إنساني رقــيق فقــد أثر في نفسه رحيل الشيخ عبد الجليل عيسى، ورآه البعض يبكــي كالطفــل عندما توفي عباس محمود العقاد؛ إذ إنه أحب العقاد في شبابه ثم انصرف عنه لملازمة العقاد للوفد، وظل على عدائه للعقاد إلى أن قــرأ لــه كــتابه "مطالعات في الكتب" فعاد يحبه ويؤثره على الكتّاب الآخرين.

وفــي ســنة ١٩٦٦ ترك الحكم ولم يعد له، وانصرف إلى نشاطه بمجمــع اللغة العربية، وإلى ندوته الأسبوعية، وإلى أحاديثه مع مريديه، وفــتح بيــته لأبناء السودان وأبناء مصر معاً، حتى بدأ المرض يهاجمه

مـــنذ عـــام ١٩٨٣، وقـــررت الدولة علاجه على نفقتها بإنجلترا، وكان المـــرض أقوى من كل علاج فعاد إلى القاهرة حيث توفي في فبراير سنة ١٩٨٤ عـــن ٨٥ عامـــاً، وعـــن ٤٠ وســـاماً، وعـــن محبين وأصدقاء وعارفين لفضله لا يعرف لهم أحد عدداً.

محمد كامل حسين

جرَّاح اللغة العربية



محمد كامل حسين

أصيب الملك فاروق في حادث سيارة عند قرية القصاصين، وكان ذلك في أوائل الأربعينيات، واجتمع له فريق معالج من كبار أطباء العظام في مصر، كان في مقدمة هذا الفريق علي باشا إبراهيم، وعبد الوهاب مورو، وعبد الله الكاتب، وعباس الكفراوي وكان معهم أيضاً ذلك الطبيب الشاب محمد كامل حسين.

وبعد أن أتم الفريق عمله بنجاح، أي بعد شفاء الملك فاروق، منح الملك رتبة الباشوية لمن لا يحمل هذه الرتبة من الأطباء المعالجين، كما منح لأصغر الأطباء سناً محمد كامل حسين رتبة البكوية.

ولكنه لم يذكرها في حياته قط، ولم يضفها إلى اسمه قطّ كما فعل الآخرون، فقد كان محمد كامل حسين هو الأول دائماً، فهو الأول على دفعته في البكالوريا التي حصل عليها من مدرسة الإلهامية بالقاهرة، كما كان الأول أيضاً على دفعته في مدرسة الطب سنة ١٩٢٣، كما كان أول مصري يجمع بين زمالة كلية الجراحين وماجستير جراحة العظام سنة ١٩٣١، وكان أول وربما آخر من حصل على جائزة الآداب والعلوم، كما كان أول مدير لجامعة إبراهيم – عين شمس حالياً – عند إنشائها سنة ١٩٥٠، كما قدر له بعد رحيله أن يكون أول عضو في مجمع اللغة العربية تدور حوله وحول أعماله مسابقة للمجمع عن عام ١٩٧٧ – ١٩٧٨، فقد عاش دائماً الطبيب الأديب العالم الناقد، الذي

جمع بين دقة العلماء وصفاء الأدباء.

ولــد محمد كامل حسين مع مولد القرن العشرين في مارس سنة ١٩٠١، وتوفــي والــده وهــو طفل رضيع، ونشأة كهذه كان يمكن أن تجعلــه يقــبل علـــى الحياة ليأخذ منها كل شيء. وكان يمكن أن تجعله منكســراً منعــزلاً يســير إلى جوار الجدار، ولكنه نشأ سوياً وإن كان قد آثــر ألا يــرتبط بــزوجة فـــي مشوار حياته. شارك محمد كامل حسين فـــي مواكب ثورة ١٩١٩ وهو طالب في مدرسة الطب التي تخرج فيها سنة ١٩٢٣، وبعدها سافر في بعثة - بعد أن أمضى مدة الامتياز - إلى إنجلتــرا سنة ١٩٢٥، وعاد من لندن سنة ١٩٢٩ زميلاً بكلية الجراحين الملكـــية، ولكن الدكتور على باشا إبراهيم أعاده إلى إنجلترا مرة أخرى ليحصل على الماجستير في جراحة العظام سنة ١٩٣١.

لـــم يكن الدكتور محمد كامل حسين يأخذ الناس بما أخذ به نفسه مـــن جـــد وصرامة، ولم تكن كتاباته عن الأخلاقيات والمثاليات والضمير وصـــفاء النفس إلا تعبيراً عما يمارسه في حياته. كان قليل الكلام، شديد الاتـــزان، عـــف اللســـان، هادئ الصوت، رقيق الابتسامة، زكى السمت والـــنفس والضمير، ولم يكن يطلب من الناس ما ليس في إمكانهم. شهد لـــه تلاميذه وزملاؤه بالأمانة في عمله وبالمعاملة الإنسانية لمرضاه إلى درجـــة أن مرضاه تحولوا إلى أصدقاء له في مسيرة الحياة، وعندما كان مديراً لجامعة عين شمس وتحولت خصومات أعضاء هيئة التدريس إلى نـــزاعات عاقـــت دوره العلمـــي لم يتردد في الاستقالة من إدارة الجامعة ســـنة ١٩٥٤. لـــم يـــبخل بعلمه على أحد، كما كره محمد كامل حسين التعصـــب في الأديان، كان يرى أن الدين لله والوطن للجميع. كما عُرف

عــنه الاعــتدال في كل الأمور، في المأكل والملبس، وفي الحياة عموماً، اســتقام ســلوكه فلم يدخن أبداً ولم يعاقر الخمور، ينام مبكراً كعادة أهل الــريف ويستيقظ مبكراً، كما كان باراً بأهله وبعارفيه لا يفرط في صداقة أحد.

كــان أبو العلاء المعري أقرب الشعراء إليه، كان معجباً به إعجاباً شــديداً؛ فقــد كان يرى فيه أعمق شعراء العرب تفكيراً وأصدقهم عاطفة وأحــدّهم ذكــاء، كمــا أبــدى إعجابه باعتدال أحمد لطفي السيد وبعلمه وخلقــه. كــان يــرى الدين وسيلة الإنسان المثلى للاهتداء، وهو شديد التســامح مــع المعــتقدات والأفكار التي لا يرضاها ولا يسلم بها، وهو يــرفض أن يكــون الشــر هــو الأصل في الإنسان، يرى أن الخير هو الأصل، ويرى أن أكثر الناس طيبون بطبيعتهم.

انــتخب ذلك الجراح العظيم عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية في ســنة ١٩٥٢ خلفاً للمرحوم الأستاذ أحمد حافظ عوض، وكانت له آراء جــريئة فــي اللغة العربية دخل بها معارك مع اللغويين، كما أصدر آخر كتــبه فــي هــذا الموضــوع بعنوان اللغة العربية المعاصرة يرفض فيه الرجوع إلى الفصحى العالية ويرى أنها تكون كأهل الكهف الذين حسبوا أن عملــتهم – وهــي صــحيحة غيــر زائفــة – تصلح للتداول وشراء احتــياجاتهم عــندما أرســلوا أحــدهم بعد الصحو، أو تكون مثل علماء الحفائــر، علمهم له قيمته التاريخية ولكن لا ضرورة للسير على منواله، والــذين يقصــرون علمهم على ما عرفه القدماء مثلهم كمثل من يمشي محمــولاً علــى عــربة (كــارو) وعلــى قرب منه طرق واسعة تقطعها السيارات في دقائق، والذين يستخدمون القواعد الجامدة مثلهم كمثل من

يستخدم مغزل اليد وحوله الآلات التي تغزل آلاف الأمتار في الساعة الواحدة، والذين يعتقدون أن كل ما لا يرد في المعاجم خطأ، مثلهم مثل الذي يدخل السجن باختياره.

أثرى محمد كامل حسين المكتبة العربية بعديد من الكتب: "المتنوعات" الجزء الأول سنة ١٩٥١، وبعده بسنوات نشر الجزء الثاني سنة ١٩٦١. جمع في الجزأين بحوثه ودراساته التي سبق له نشرها متفرقة، وبين هذين التاريخين نشر أهم كتبه وهو (التحليل البيولوجي للتاريخ) سنة ١٩٥٧ ثم كتابه (وحدة المعرفة) وهو الموضوع الذي أدخله معركة مع عباس محمود العقاد ومع الدكتور زكي نجيب محمود، وكان يرى فيه أن أخطاء اللغويين أكثر الأخطاء الشائعة. أما (الوادي المقدس) وهو كتاب يقترب من التأملات الفلسفية فقد صدر سنة ١٩٦٨ ومنه ترى معتقدات صاحبه، فهو يرى الدين وسيلة الإنسان المثلى للاهتداء، وهو شديد التسامح مع المعتقدات التي لا يرضى عنها. وفي سنة ١٩٦٩ صدر له " مختارات " وهي في واقع الأمر مختارات علمية، وصدر له سنة ١٩٧١ كتابان: "الذكر الحكيم" وآخر أعماله "اللغة العربية المعاصرة"، أما العمل الذي نال عنه جائزة الدولة في الأدب سنة ١٩٥٧ وهو "قرية ظالمة" والذي صدر له سنة ١٩٥٤ وهي "قرية أورشليم" وما حدث من أهلها اليهود ومن حكامها الرومان مع السيد المسيح عليه السلام وحوارييه على النحو الذي هو شائع ومعروف كما هو مختلف عليه، وهو أن اليهود ضاقوا بدعوة "السيد المسيح" عليه السلام إلى المحبة والسلام والتواضع، وضاق أغنياؤهم بأن يقتسم كل من له ثوبان ملابسه مع آخر، فقرروا أن

يتخلصـــوا مـــنه، فأثاروا الجماهير، وأعانهم أحد حواريي المسيح. وقد ترجم هذا العمل إلى الإنجليزية.

ولـــد محمد كامل حسين في سنة ١٩٠١ شهر مارس، ورحل عن عالمنا في ٦ مارس سنة ١٩٧٧، رحل من كان يؤمن بالتجربة إيماناً لا يقـــل عن إيمانه بالعقل؛ لأنه يريد العقل العلمي الذي يحلل ويعلل، لا ذلك العقـــل الإقطاعي، أو عقل القرون الوسطى الذي يسلم ويستسلم فلا ينقد ولا يـــناقش ولا يختـــرع ولا يبتكر. كان يربط بين العقل والعلم، ويدرك مدى الصلة بين الطب والفلسفة، فهو فيلسوف بقدر ما هو عالم.

شوقي ضيف

عاش داخل زهرة اللوتس

١٣٥



شوقي ضيف

وقــف معي مرة وقال لي: أحسن المعرفة معرفة الإنسان لنفسه، وأحســن الفلسفة القناعة، وأحسن رسالة عزاء إلى قلب حزين، وأحسن سياســة معاهــدة سلام يعقدها المرء مع ضميره، وأحسن الهندسة بناء جسر من الإيمان على نهر الموت.

وذات يــوم قال لي: لأسرة من أسر السكان في واجهة القرية ولد طفــل لأبوين فرحا به؛ لأن الموت اختطف ولدين قبله، كان الأب قد أكمل تعلــيمه فـــي المعهــد الأزهري بدمياط، وعزف عن أن يتقلد وظيفة من وظائــف رجـــال الــدين، عاد الأب إلى قريته بجوار دمياط، كان يربض مســتنقع واســع يشــغل أكثــر من مائتي فدان، مليء بالأسماك وبنبات البــردي وبأزهار النيلوفر (اللوتس) القائمة على سيقانها ليل نهار تنتظر مــوعداً مضروباً، مطلة برؤوسها وأعناقها فوق مياه غارقة فيها، كأنها دمــوعها، تتضــام أوراقهــا ليلاً للنوم، في شكل كأس زمردي، وتتفتح الأوراق فـــي الصــباح، مــع نسمات السحر وأنداله المتلألئة، عن شعل ملتهــبة مــتعددة الألــوان، بــين لازوردي وأرجواني وكهرماني، وعند الســيقان تســتلقي أوراق عريضــة مستديرة تتوسد المياه حول قامات البشــنين الهــيفاء، وفـــي الجانــب المقابــل للقرية تقع بحيرة المنزلة بصــياديها وشــباكهم وبمــياهها الفضية البراقة، وكأن سماء من البلور الناصــع تمتد على سطحها المشرق الهادئ الساطع والمراكب الشراعية تــتهادى فيها مقبلة مدبرة، متمايلة مع الريح، تمايل الأغصان بأشرعتها

البيضـــاء، وكأنما هي طيور سابحة بجناح واحد فريد، وكان في واجهة القـــرية دور كبيـــرة بعـــض الشـــيء للأسر الموسرة فيها، ومن ورائها تـــتكدس دور متواضعة مرصوصة على جانبي أزقة ضيقة تتثنى وتتلوى فـــي غيـــر انـــتظام، وفوق الدور هنا وهناك بعض أبراج الحمام، وقبيل المســـاء يطير منها في جماعات، حتى إذا غربت الشمس وأخذ ضوءها يختفـــي تدريجياً، آوى كلٌ مسرعاً إلى برجه وعشه لا يخطئه، وفي هذه اللحظـــات نفسها يعود الفلاحون إلى دورهم من الحقول بثيابهم الزرقاء التـــي لا تملـــك كثـــرتهم ســـواها، ولا يعرف أحد منهم الفراش الوثير، فالأســـرّة مـــن جـــريد النخـــيل، وعلـــيها بعض الفرش المحشوة بالقش أو ببعض الحشائش، كان العشاء هو الأكلة الأساسية في القرية والريف المصـــري، بعـــد أن يعود الفلاح وصاحب الحقل من العمل طوال اليوم، وكانـــوا يستضـــيئون بمصـــباح الغاز، ويندر أن تظل مضيئة في دار بعد تـــناول العشـــاء، ولا ضوء ولا شعاع إلا في الليالي المقمرة، أما الليالي الأخـــرى فـــيلفها ظلام دامس، بل، بل صمت مطبق مخيم على كل شيء إلا أن يســـمع مـــن حـــين إلى حين صياح الديكة، وتغط القرية في نوم عمـــيق حتـــى يخترق أذان الفجر حجاب الظلام إلى السماء، ويتفلت من أضـــواء الصـــباح شـــعاع إلى كل دار فيستيقظ جميع من فيها، حقاً كان يحـــفّ بحـــياة الأسرة المتواضعة، في الريف بؤس كثير، غير أن الحق أيضـــاً أنك كنت دائماً ترى البسمة ترف على عيون الجميع، وكأن الأمل فـــي الحـــياة أفضل وأبهج وأروع، لم يكن يزايلهم أبداً، إذ لا يزال يتسلل إلى نفوسهم تسلل أضواء الفجر أو آخر الليل في الآفاق.

في هذا الجو، وفي هذا المناخ، وفي هذه البيئة ولد الدكتور أحمد

شــوقي عــبد الســلام ضيف في سنة ١٩٠١ في قرية من قرى دمياط، وتلقــى تعلــيمه الأولي بكتّاب القرية، ثم التحق بالمعهد الديني الابتدائي بدمــياط، ثــم بالمعهــد الدينــي الثانوي بالزقازيق، وانتقل بعد ذلك إلى تجهيــزية دار العلــوم، وحصل منها على " البكالوريا " وبعد ذلك التحق بكلــية الآداب بجامعة القاهرة كان ذلك في العام الدراسي ٣٠ / ١٩٣١ وقُــبل بين كثيرين كانوا نحو ثمانين طالباً من الأزهر والتجهيزية، جاءوا جمــيعاً مشــوقين إلى الاستماع لطه حسين ولمحاضراته وما يحدث من دراســات نقديــة جديــدة فــي الأدب العربي وأدبائه، حيث تخرج منها وحصل على ليسانس الآداب سنة ١٩٣٥، وفي سنة ١٩٤٣ حصل على درجــة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى، وقد عمل الدكتور شوقي ضيف فــي بدايــة حياته بمجمع اللغة العربية محرراً للمعجم الوسيط، ثم عين معــيداً بكلية الآداب جامعة القاهرة، ثم مدرساً مساعداً، فمدرساً، فأستاذاً مســاعداً، فأستاذاً لكرسي الأدب العربي، فرئيساً لقسم اللغة العربية، وقد عمــل أســتاذاً بجامعة الكويت لمدة غير قصيرة، ودعته جامعات أخرى فــي مخــتلف الــبلاد العربية ليكون أستاذاً زائراً بها، وقد انتخب عضواً بالمجمــع فــي سنة ١٩٧٦، في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ الشيخ عطية الصوالحي.

وللدكــتور شــوقي ضيف نشاط علمي كبير، شغله عن المناصب الإداريــة، فقــد خصص حياته للتأليف والعلم، وتشهد الدوريات العربية قــديمها وحديــثها بوفرة هذا الإنتاج وتنوعه، وتأثيره في حركة الثقافة، وبالإضــافة إلى هذه البحوث والمقالات التي تزخر بها هذه الدوريات فإن مــؤلفاته تــزيد علــى الثلاثين كتاباً، ما بين محقق ومؤلف في التاريخ

الأدبـــي أو الدراسات الأدبية نذكر منها أولاً في التاريخ الأدبي: العصور الأدبـــية: الجاهلـــي، الإســـلامي، العباسي الأول، العباسي الثاني، عصر الدول والإمارات.

ثانـــياً – الدراسات الأدبية: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، وفي النثـــر العربـــي، والـــتجديد فـــي الشعر الأوروبي، ودراسات في الشعر العربي المعاصر – سجل شعر تاريخي فريد.

ثالـــثاً – الدراسات البلاغية والنقدية: البلاغة: تطور وتاريخ، في النقد الأدبي، فصول في الشعر ونقده، البلاغة عند ابن رشد.

رابعاً – في التراجم: البارودي، أحمد شوقي، ابن خلدون.

خامســاً – في الكتب المحققة: النشر في القراءات العشر، السبعة فـــي القـــراءات لابـــن مجاهـــد – الرد على النحاة – المغرب لابن سعيد (جزآن).

سادســاً – فـــي فـــنون الأدب: المقامـــة، الرثاء، النقد، الترجمة الشخصية، الرحلات.

ولكل هذا النشاط العلمي منحته الدولة جائزة الدولة التقديرية في الآداب ســـنة ١٩٨٠، كمـــا نـــال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربـــي ســـنة ١٩٨٢، ومـــنذ أن انـــتخب الدكتور شوقي ضيف عضواً بالمجمع لا يخلو مؤتمر من بحوثه ومقالاته، وهو يشارك مشاركة فعالة فـــي أعمـــال لجـــان عديـــدة منها: لجنة المعجم الكبير، ولجنة الأصول، ولجـــنة الألفـــاظ والأســـاليب، ولجـــنة الأدب، وقد قدم إلى لجنة الأصول مشـــروعاً ميســـراً لتعلـــيم النحو للناشئة، فأقرته وعرضته على مجلس المجمـــع ومؤتمـــره اللذين وافقا على معظم بنوده، كما ساهم في أعمال

لجـــنة الجيولوجـــيا، ولــــه في مجلس المجمع صوت مسموع، مع نبرة الدمث الخفيض، كما كان كذلك عضو " مكتب المجمع ".

ومـــن بحوثه ومقالاته أيضاً: الفصحى المعاصرة (مجلة المجمع)، تيسير النحو (مجلة المجمع)، لغة المسرح بين الفصحى والعامية (مجلة المجمع)، توحيد المصطلح العلمي، التعريب (مجلة المجمع).

اســـتمر شـــوقي ضـــيف في رحلة عطاء متواصل حتى الآن وقد تولـــى رئاســـة المجمـــع خلفـــاً للدكتور إبراهيم بيومي مدكور في عام ١٩٩٦ ومـــازال يواصل عطاءه في تواضع العظماء وفي كياسة تنم عن جـــذور عميقة في المعرفة والخلق، في كلماته أقرب إلى الهمس، ولكنها أقوى من أعلى جرس.

إبراهيم مدكور

خليفة طه حسين

إبراهيم مدكور

لكـــل مجتمع ماضيه، بل لكل عصر نظرة قد تتفق وقد تختلف مع هـــذا الماضـــي نفســـه، والمجـــتمعات لـــم تقيّم ماضيها بنفس الطريقة، فالأحـــداث التـــي تقـــع في إطار كل مجتمع هي التي تحفزه إلى التساؤل بشـــأن الفتـــرات الماضية من تاريخه، ولقد اختلفت الذاكرة التاريخية أيضـــاً تـــبعاً للبـــناء الاجتماعي ونظم توزيع السلطة، ولاستخدام الكتابة أو الشـــفاهية، وطبـــيعة الـــدين الســـائد، وعلاقة الناس بالزمن والموت والخرافة والأسطورة وما شابه ذلك من معطيات التاريخ.

وبإلقـــاء نظـــرة من شباك التاريخ في مصر، حينما لم تكن ثورة يولـــيو ١٩٥٢ م قـــد اشتعلت بعد، كان الشارع المصري قد اشتعل ضد الفقـــر، فقـــدم رئيس ديوان المحاسبة استقالته التي قبلت في ٢٠ أبريل ١٩٥٠، واســـتجوب مصـــطفى مرعـــي عضـــو مجلس الشيوخ آن ذاك رئـــيس الـــوزارة عـــن أســـباب الاستقالة: هل الاستقالة مقصورة على موضـــوع مستشـــفى المواســـاة ؟ أم أنها تتصل بملاحظات أبداها ديوان المحاســـبة علـــى نفقات حرب فلسطين ؟ أسهم هذا في هز الثقة بالملك وبحاشيته، وكان هذا يتسق مع الاتجاه الوطني العام.

وفـــي ٢٩ مايـــو ١٩٥٠ قرر مصطفى مرعي السفر إلى أوربا، وهـــنا أعلـــن إبـــراهيم مدكـــور عضو مجلس الشيوخ تبنيه لاستجواب الأسلحة الفاسدة والذي جاء إرهاصاً لثورة يوليو ١٩٥٢.

كـــان لإبـــراهيم مدكـــور في مجلس الشيوخ نشاط ملحوظ، سأل

واستجوب واقترح وناقش، إذ كان يريد بالسياسة أن تقوم على مبادئ ثابتة وأصول واضحة تحارب الطغيان وتتنزه عن الأهواء، فأغضب الرأي، واضطر لأن يستقيل من حزب الوفد أكبر الأحزاب السياسية في ذلك الوقت.

لم يكن التاريخ ببعيد عن إبراهيم مدكور، بل كان يرقبه حين ولد في مطلع هذا القرن وفي عام ١٩٠٢ بقريته "أبي النمرس" التابعة لمركز الجيزة وعلى بعد خطوات من القاهرة.

حفظ القرآن الكريم في كتّاب القرية، والتي أتم مراحل المدرسة الأولية بها، ثم التحق بالأزهر، فمدرسة القضاء الشرعي، حيث اجتاز قسمها الأول، ثم بدار العلوم بعد ذلك حتى حصل على دبلومها وتخرج سنة ١٩٢٧.

وبعد تخرجه عمل بالتدريس سنة في إحدى مدارس القاهرة الابتدائية، اختير بعدها لبعثة حكومية إلى إنجلترا، ولكن الخلافات السياسية والاضطهادات الحزبية وقفت في طريقه ونقل إلى مدينة إدفو بجنوب صعيد مصر بدلاً من الذهاب إلى لندن.

قدم إبراهيم مدكور استقالته من تلك الوظيفة التي حالت بينه وبين الذهاب إلى أوروبا، كان قد قرر أن يضيف إلى ثقافته الشرقية ثقافة غربية، سافر إلى فرنسا على نفقته الخاصة، كان ذلك في أوائل عام ١٩٢٩، وفي عام ١٩٣٠ ضُمّ إلى البعثة الحكومية والتي كان قد سُلب حقه فيها.

درس في باريس الفلسفة والقانون، واستكمل وسائل البحث العلمي، وعرف عن اللغة القديم والحديث، حتى حصل على ليسانس

الآداب من جامعة السربون في عام ١٩٣١، وبعد ذلك وفي عام ١٩٣٣ حصــل علــى ليسانس الحقوق من جامعة باريس، واستمر في الدراسة والتحصــيل والمــتابعة حتــى نــال دكتوراه الدولة في الفلسفة في سنة ١٩٣٤.

عــاد إبراهيم مدكور من باريس محملاً برسالته العلمية وشهاداته التــي حصــل علــيها، انضم بعد عودته إلى هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعــة القاهــرة، ثــم انتدب للتدريس في بعض الكليات الأزهرية حتى أصــبح لــه جــيش غيــر قلــيل من التلاميذ، منهم من أصبحوا أساتذة ورؤســاء أقسام في المواد الفلسفية والاجتماعية بجميع كليات الجامعات العربية المختلفة.

بعد ذلك اضطر إبراهيم مدكور للاستقالة من الجامعة بعد حصوله علــى عضوية مجلس الشيوخ، بالطبع كان هذا يرجع إلى القانون الذي يمــنع الجمــع بــين الوظيفة وعضوية البرلمان، إلا أن عضوية مجلس الشــيوخ لــم تصــرفه في أي وقت من الأوقات عن البحث أو الدرس، وظــل يــدرس ويحاضــر ويكتب ويؤلف ما وسعه فقدم في سنة ١٩٤٣ كــتاباً بعــنوان "الإدارة الحكومــية"، ثــم تابع النشر بعد ذلك لمؤلفاته، ففــي ســنة ١٩٥٧ تــرجم كــتاب "تاريخ العلم" لجورج سارتون والذي أصــدرته دار المعــارف المصرية، كما أصدرت له أيضاً في عام ١٩٧٠ كــتاب فــي "اللغة والأدب"، وفي نفس العام أصدرت له دار الثقافة كتاباً آخــر تحت عنوان "الحياة الثقافية بين القاهرة وبغداد"، وفي عام ١٩٧٤ صــدر لــه عن الهيئة المصرية العامة للكتاب كتاب بعنوان "في الأخلاق والاجــتماع"، كمــا صــدر عــن دار الــثقافة "دراسات فلسفية" في عام

١٩٧٩، ومـــن دار المعـــارف فـــي "الفلســـفة الإســـلامية" و"أبو النصر الفارابـــي" فـــي الذكرى الألفية لوفاته عن الهيئة المصرية العامة للكتاب فـــي عـــام ١٩٨٣، وبعـــد عـــام أي في سنة ١٩٨٤ أصدرت له الهيئة المصـــرية العامـــة للكتاب "معجم أعلام الفكر الإنساني"، ثم "مع الأيام .. شيء من الذكريات" في عام ١٩٩١ عن دار المعارف.

اشـــترك الدكتور إبراهيم مدكور في عدة مؤتمرات علمية وفلسفية فـــي أوروبـــا وآسيا، كما ساهم مساهمة كبيرة في إحياء الذكرى الألفية لابـــن ســـينا في بغداد سنة ١٩٥١، وظهران وباريس سنة ١٩٥٤، كما ســـاهم أيضـــاً فـــي مهرجان الغزالي بدمشق سنة ١٩٦٢، وابن خلدون بالقاهـــرة فـــي العام نفسه، واشترك أيضاً مع غيره في إحياء ذكرى طه حســـين بالقاهـــرة سنة ١٩٧٩، وحافظ وشوقي بالقاهرة سنة ١٩٨٢، وفـــي عـــام ١٩٨٣ اشـــترك في مهرجان طه حسين بمدريد، وفي نفس العام بالقاهرة في مهرجان لويس ماسينيون.

دعـــي الدكـــتور إبراهيم مدكور إلى المحاضرة في معاهد مختلفة شـــرقاً وغـــرباً، مـــن بينها السربون، وأشرف على إخراج كتاب الشفاء لابـــن ســـينا، وعلى كتاب المغني للقاضي عبد الجبار، والفتوحات المكية لمحيـــي الـــدين بـــن عربي، والموسوعة العربية الميسرة التي أخرجتها الجامعـــة العـــربية بالـــتعاون مع مؤسسة فرانكلين، وتابع إخراج كتاب الفـــتوحات المكـــية لابن عربي، هذا بالإضافة إلى كتابه "القيم الفلسفية: مـــنهج وتطبـــيق"، وقـــد منح الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٦٤ من جامعة برنســـتوف، كـــان ذلك مرجعه إلى الخدمات العلمية ونشاطه في التبادل الثقافي من الشرق والغرب.

وبعد مرور ١٤ عام على نشأة مجمع اللغة العربية، وقبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بستة أعوام فقط، اختير الدكتور إبراهيم مدكور لعضوية مجمع اللغة العربية، ومنذ هذا التاريخ وهو يمارس نشاطه داخل المجمع، الذي بدأ بالانضمام داخله إلى العديد من اللجان والتي أهمها: لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية، ولجنة المعجم الكبير، حتى اختير عضواً في مكتب المجمع، ثم كاتب سر المجمع في سنة ١٩٥٩، وفي عام ١٩٦١ أصبح أميناً عاماً لمجمع اللغة العربية، وبوفاة عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين في عام ١٩٧٤ أصبح رئيساً له، ظلّ يفتتح المؤتمر السنوي بخطبة تشتمل – بالإضافة إلى الترحيب بالضيوف – على القضية الرئيسية في أعمال المؤتمر.

وقد أخرج كتابين عن المجمع، أحدهما "مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً: ماضيه وحاضره"، وهو كتاب يؤرخ للمجمع من النواحي العلمية والفنية والقانونية، أما ثاني هذه الكتب "مع الخالدين"، والذي ينقسم إلى قسمين: الأول خاص بتاريخ نشأة المجمع، ويتناول فصولاً عن المجامع اللغوية الأخرى، وفصلاً عن اتحاد المجامع العربية، الذي يتولى رياسته منذ إنشائه، والثاني يعد تاريخاً لرحلة الدكتور إبراهيم مدكور مع الأعضاء.

٩٢ عاماً من الجهد والعرق، بدءاً برحلة التحصيل، ومروراً على رحلة من العطاء التي لم تتوقف على كافة المستويات السياسية والعلمية، ليرى من يرى، وليعتبر من يعتبر، في أن الأوطان تصنعها رجالها دون تردد أو تهاون في بذل العطاء.

مصطفى مرعي
وقضية الأسلحة الفاسدة



مصطفى مرعي

كـــان الـــرجل شـــجاعاً فـــي لحظاته الأخيرة من الحياة، كما كان شـــجاعاً من قبل، بعيداً عن الحسابات السياسية التي يجيدها المحترفون، كمـــا كـــان زاهـــداً عـــندما ترك وصيته المكتوبة بأن يكتفى في العزاء برســـائل البـــرق أو البـــريد، وكـــان الرجل أميناً في إخفاء خبر محاولة الفـــريق عزيز المصري للهروب خارج مصر، سكت مصطفى مرعي في ٧ نوفمبر من سنة ١٩٨٧، سكت ولكنه ترك التاريخ يتكلم.

وعـــندما يتكلم التاريخ سوف يقول: إنه في عهد حكومة الوفد في ينايـــر ســـنة ١٩٥٠ وحتـــى قيام الثورة وفي ظل الحريات التي وفرتها الحكـــومة، اشـــتعل الشـــارع المصـــري ضد القصر وقدم رئيس ديوان المحاســـبة استقالته لأمور تمس المستشار الصحفي للملك، وتقدم عضو مجلـــس الشيوخ مصطفى مرعي بسؤال إلى رئيس مجلس الوزراء عن أســـباب الاســـتقالة: هـــل هي بسبب يتصل بكريم ثابت وإعانة الحكومة لمستشـــفى المواســـاة، أم تتصـــل بملاحظات على نفقات حرب فلسطين؟ وتلقـــف الشـــارع الســـؤال، وشـــجاعة الســـائل الذي أحال السؤال إلى اســـتجواب، ودخل إحسان عبد القدوس وأشعل الشارع بمقالاته المعروفة عـــن الأســـلحة الفاسدة، وبقي اسم الرجل مصطفى مرعي بطلاً في ذهن الشارع.

وعـــندما يـــتكلم الـــتاريخ سوف يقول أيضاً: إنه اعتزم مع بعض الأســـماء لقـــاء الزعيم الراحل جمال عبد الناصر يطلبون منه الاستسلام

للمعـــتدين عـــام ١٩٥٦، وكـــان اقتراحهم الذي قدمه سليمان حافظ لعبد اللطـــيف الـــبغدادي وعـــبد الحكـــيم عامـــر في منزله بالدقي في الثامنة والنصـــف مســـاء يـــوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦، ينص على أن "تتقدم بطلـــب للـــدول المعـــتدية بجعـــل مصر دولة محايدة كسويسرا وكذا قناة الســـويس، وأن تضـــمن هـــذه الدول حياة مصر وذلك حتى نجنب البلاد ويـــلات الحـــرب والدمار والخراب والاحتلال"، على أن يقوم بتقديم هذا الاقتـــراح شـــخص آخر غير جمال عبد الناصر، وليس هناك أصلح من محمد نجيب لهذه المهمة.

وإن لـــم يتكلم التاريخ وجب علينا أن نقول إنه اشترك في وزارة إبـــراهيم عبد الهادي الأولى من ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ إلى ٢٥ يوليو ســـنة ١٩٤٩، وهي الوزارة التي اشتهرت بمطاردتها للإخوان المسلمين والشـــيوعيين، واشـــتد الســـخط الشعبي على إبراهيم عبد الهادي رئيس الـــوزارة. ومـــع هـــذا كـــان مصطفى مرعي بضمير القاضي وهو وزير فـــي وزارة حســـين ســـري مـــن ٢٥ يوليو إلى ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٩ - الـــوزارة الثانـــية - يعتـــرض علـــى قسوة الحكم الذي صدر ضد أحد زعمـــاء الحـــركة الشـــيوعية، ومـــع هـــذا أيضاً يتقدم مصطفى مرعي المحامـــي الشـــجاع للدفاع عن إبراهيم عبد الهادي أمام محكمة الثورة، وقـــف يدافـــع عـــن سياســـي لا يتمتع بعطف شعبي، ويقارع الثورة في عنفوان جموحها وبطشها.

ولـــد مصطفى مرعي سنة ١٩٠٢ بقرية الجزيرة الخضراء التي كانـــت تابعـــة فـــي ذلك الوقت لمركز فُوَّة، وكان المركز تابعاً لمحافظة الغـــربية، وهذه القرية تابعة اليوم لمركز مطوبس بمحافظة كفر الشيخ،

وقـد الـتحق بكـتاب القـرية وحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم، ثم الـتحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية حيث حصل على الشـهادة الابتدائـية، والتحق بعدها بمدرسة رأس التين الثانوية وحصل مـنها علـى البكالوريا في سنة ١٩١٩. والتحق بعدها بمدرسة الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩٢٣ حاملاً معه ليسانس الحقوق.

مـارس بعـد ذلـك المحامـاة في الإسكندرية إلى أن عين قاضياً بمحكمـة الإسكندرية سنة ١٩٣٢، وفي سنة ١٩٣٦ استقال من القضاء وعـاد للعمـل بالمحاماة ليس في الإسكندرية هذه المرة بل في القاهرة. وعُـيِّن محامـياً عامّـاً فـي سنة ١٩٣٩، وفي ذلك الوقت انتدبته كلية الحقـوق ليحاضـر فيها في مادة القانون المدني، واختير عضواً بمجلس الكلـية مـن الخـارج سـنة ١٩٤٠، وفي سنة ١٩٤١ عين مستشاراً بمحكمـة استئناف مصر، ثم مستشاراً بمحكمة النقض سنة ١٩٤٦، وفي سـنة ١٩٤٨ عين رئيساً لإدارة قضايا الحكومة، وفي السنة نفسها عين وزيراً للدولة في حكومة إبراهيم عبد الهادي باشا، وبعد استقالة حكومة إبـراهيم عـبد الهـادي سنة ١٩٤٩ ومجيء حكومة حسين سري باشا عـين وزيـر دولـة فـيها إلـى أن استقال في السنة نفسها، وعاد إلى المحاماة في القاهرة.

وبعـد تعيـنه وزيراً عين عضواً بمجلس الشيوخ، وبهذه الصفة قـدم اسـتجواب الأسلحة الفاسدة، كان فيها اتهام واضح لحاشية الملك بتدبيـر هـذه المؤامـرة، وتبنـى الدكتور إبراهيم مدكور عضو الشيوخ الاسـتجواب أثـناء سـفر الأسـتاذ مصطفى مرعي إلى الخارج للعلاج، وكانـت النتيجة أن صدر مرسوم بإخراج المستجوب، ومعه ثمانية عشر

عضـــواً ممـــن ناصـــروا الاستجواب، وكان من بينهم المرحوم الدكتور محمـــد حســـين هـــيكل باشا رئيس المجلس، والمرحوم أحمد باشا عبد الغفـــار، وعلـــي عـــبد الرازق باشا، وفي سنة ١٩٥٩ اعتزل المحاماة، وغـــادر القطـــر المصري سنة ١٩٦٣، وعاد في سنة ١٩٧٠، ولكنه لم يعمـــل بالمحامـــاة ولا بغيـــرها، وفـــي سنة ١٩٧٣ اختاره مجمع اللغة العربية عضواً عاملاً.

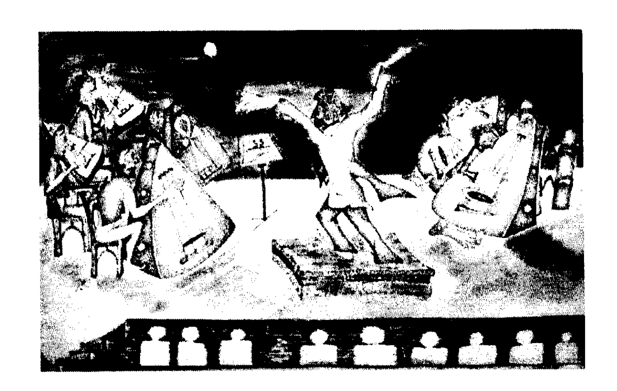
وإلـــى جانـــب هذا النشاط القضائي والسياسي، كانت له دراساته التـــي ألقـــى بعضـــاً منها محاضرات على طلبة كلية الحقوق حين انتدب إلـــيها، وقـــد ألف في سنة ١٩٣٦ كتابه " المسؤولية المدنية في القانون المصري ".

ومـــنذ اختـــياره لعضـــوية المجمع وهو يساهم مساهمة فعالة في أعمـــال المجلس ولجانه، ولاسيما لجنة القانون، ولجنة الشريعة، ولجنة الاقتصاد، وكان لجهوده أثر في ظهور القانون الجديد للمجتمع، ويشارك أيضاً إلى جانب هذا النشاط القانوني في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب.

كـــان رحمه الله كبيراً من أساطين رجال القانون، جال في ميادين القانون وتسنم القمم فيها جميعاً، من محاماة وقضاء وفقه، حتى إذا بلغ ذلـــك المـــدى تصدى للشؤون العامة فحمل أعباءها، وكافح في سبيلها، وكـــان لـــه فـــي ذلك مقام معلوم. كان رحمه الله من صفوة رجال الفكر المعاصـــرين، شخصـــية لا شك فذة متعددة الجوانب، يشهد له بالوطنية والعلـــم، والعدالـــة الإنســـانية، والصـــدق في العقيدة الدينية، والوفاء، وحرصـــه على أداء حق الناس في ماله الذي كان يعتبره دوماً مال الله، ولذا كان صلباً في مواجهة الطغاة وأذناب الطغاة.

الأثري

شاعر الفرات



الأثري

أوقفنـــي، وقـــال لــي: تجنب المواضيع الكبرى لصالح ما تقدمه الحـــياة اليومـــية، قل أحزانك ورغباتك، أفصح عن الأفكار التي ترد على خاطــرك، عـــن إيمانك، في جمال، قل هذا كله بصراحة حميمية وهادئة ومفعمـــة ! واستعمل للتعبير الأشياء التي تحيط بك والصور التي تتخايل والمـــواد المشكلة من ذكرياتك، وإذا ما تبين لك أن يومك فقير لا تتهمه، اتهـــم نفســـك بأنك لست بعد شاعراً لتستدعي إليك ثراء اليوم، لا شيء فقيـــر أمام المبدع، كما ليس ثمة أماكن فقيرة لا دلالة لها، فحتى لو كنت فـــي ســـجن تخـــنق جدرانـــه كـــل ضجيج في العالم، أفلا تبقى لك دائماً طفولتك، هذه الثمينة، هذا الغنى الملكي، هذا الكنز من الذكريات.

وأنشد للمتنبي يقول:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي	إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
فسار به من لا يســـير مشمراً	وغنـــى به من لا يغـــني معـــرداً

الأســـتاذ محمد بهجة الأثري، الشاعر، اللغوي، الأديب، ولد ببغداد فـــي سنة ١٩٠٤ وتعلم في صباه التركية، وألمّ بالإنجليزية، ثم انصرف إلـــى دراســـة علـــوم العـــربية والعلوم الإسلامية، وعني بقرض الشعر، وبالتاريخ، والحديث، والتفسير، وبدأ حياته في سنة ١٩٢٤ مدرساً للغة العـــربية وآدابها، وفي سنة ١٩٣٦ عين مديراً لأوقاف بغداد، ثم "مفتشاً اختصاصـــيّاً للغـــة العـــربية" بديوان وزارة المعارف، وفي سنة ١٩٤١ اعـــتقل بســـبب اشـــتراكه فـــي الثورة على الإنجليز، ودام اعتقاله ثلاث

سنوات، وبعد سبع سنوات من بعده عن الوظائف أعيد تعيينه "مفتشاً اختصاصيّاً"، فأستاذاً بكلية المعلمين العليا، ومحاضراً في كلية الشرطة، وعينه الجمهوريون في سنة ١٩٥٨ مديراً عامّاً للأوقاف.

واشتغل بالصحافة إلى جانب التدريس، ورأس تحرير مجلة "البدائع"، ومجلة "العالم الإسلامي"، ومجلة "المجمع العلمي العراقي"، وكتب في كثير من الجرائد والمجلات في الأدب واللغة والدين والسياسة والاجتماع، وأسس في العراق جمعية الشبان المسلمين، وعمل في عدة جمعيات خيرية، وانتخب عضواً في لجنة الترجمة والتأليف، والمجمع العلمي العراقي، والمجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقد اختير في سنة ١٩٤٨ عضواً مراسلاً فيه، وفي سنة ١٩٦١ عين عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومثّل العراق في عدة مؤتمرات ثقافية وأدبية ولغوية ومؤتمرات إسلامية وعربية، وندب لإلقاء محاضرات بمعهد الدراسات العربية بالقاهرة مرتين سنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦٦، وانتخب في سنة ١٩٦٣ عضواً في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وللأستاذ محمد بهجت الأثري مؤلفات بعضها مطبوع، وبعض آخر لا يزال مخطوطاً؛ ومن المطبوع: أعلام العراق، وكتابا المجمل في تاريخ الأدب العربي، والمدخل في تاريخ الأدب العربي، وتهذيب تاريخ مساجد بغداد، ومحمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية، وكتاب مأساة وضاح اليمن، والخطاط البغدادي ابن البواب، وكتاب الاتجاهات الحديثة في الإسلام، أما عن الكتب المخطوطة فهي: ظلال الأيام (شعر)، وراء الأسلاك الشائكة (شعر)، عبد المحسن العاظمي: حياته وشعره، شرح مقامات ابن ماري،

الطـيب البصري، وكتاب الرد على الشعوبية، ونقض كتاب المثالب لابن الكلبـي، والعمـاد الكاتـب الأصـفهاني، وكتاب النقود والردود، وكتاب المحاضـرات، وكـتاب المقـالات والخطـب، ومعجـم الآلات والأدوات وغيـرها، وأدب الأعراب، وكتاب أشهر مشاهير العراق في الأدب والعلم والسياسة في القرنين الآخرين.

هـذا، غير الكتب التي شارك في تأليفها، وغير الكتب التي حققها وشـرحها ونشـرها، ومـنها: مـناقب بغداد لابن الجوزي، أدب الكاتب للأصـولي، كـتاب الـنغم لابـن المـنجم، شرح لوح الحفظ في حساب الأصـابع، خريدة القصر للأصفهاني (قسم شعراء العراق – ثلاثة أجزاء، صـدر منه جزآن). وخريدة القصر للأصفهاني "الجزء الرابع"، وخارطة الإدريسـي، وبلـوغ الأرب فـي أحوال العرب لمحمود شكري الألوسي، وتـاريخ نجـد لمحمود شكري الألوسي، ورسالة السواك لمحمود شكري الألوسي، وتفسير أرجوزة أبى نواس في الفضل بن الربيع وزير الرشيد والأمين، لابن جنّي.

ومـنذ أن انضم الأستاذ محمد بهجة الأثري إلى موكب المجمعيين وهـو يشـارك في نشاط المجمع مشاركة فعالة وخاصة في المؤتمر، بل تمـتد المشـاركة أحياناً إلى موطنه في بغداد إذ يرسل له المجمع بعض أعمالـه لاستطلاع رأيه وإبداء ملاحظاته، وقد ألقى عدة بحوث وكلمات فـي مؤتمـرات المجمع المختلفة وهي: الآلة والأداة، إلى خط سير جديد في تدوين تاريخ الأدب العربي، الألفاظ الحضارية ودلالاتها وأمثلة منها، كـيف تسـتدرك الفصـاح في المعجمات الحديثة، تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ، مزاعم بناء اللغة على التوهم. كما نوقش عنه في أوائل

الثمانينـيات رسـالة ماجسـتير عـن "شعر محمد بهجة الأثري" قدمتها دارسـة فـي كلـية دار العلـوم، وناقشـها كل من الدكتور مهدي علام والدكتور أحمد الحوفي.

هـذا، وقـد رحل عن عالمنا الأستاذ محمد بهجة الأثري في سنة ١٩٩٠. رحـل شـاعر، ولغوي وأديب، كان يهرع إلى فن الشعر وكان لديـه من الخيال والكلمات مسكن للآلام من طعنة سكين رهيب هو سكين الزمان.

أحمد بدوي

الذي سمى جامعة عين شمس



أحمد بدوي

تقــف فـــي مخيلتنا صور الأهرامات الشامخة، والأضرحة الجنائزية التـــي شـــادها القــدماء مرتبطة بالحضارة المصرية القديمة. لم يشيدها القــدماء فقــط من أجل ملوكهم وعظمائهم، كما لم يشيدوها كمقابر تبلى فـــيها الأجســـاد، بـــل بيوت تحيا بها الروح في جلال سرمدي. لقد أولع المصـــري القــديم بالحـــياة فـــأراد أن يقهر الموت، فقد رأى المصريون القــدماء فـــي الكون تجسيداً لإرادة الإله، وأن الحياة تمضي في مسارها طــبقاً لمشـــيئته، وعلـــى هــذا ننظر نحن إلى الماضي باعتباره أحداثاً انقضـــت وانتهـــى أمـــرها، ولا يمكن أن يرجع الزمن إلى الوراء أو أن يـــتوقف تقدمـــه، ومهما اشتدت رغبتنا في معرفة الماضي إلا أننا نجهل الكثيـــر مـــنه حتى يأتي من يحاول إزاحة اللثام عن هذا الماضي بالبحث والكشـــف والتنقـــيب واكتشـــاف الآثار، فنقرأ لهم ما كتبوه عن الموتى وعـــالمهم القديم، والأسرة وما كانت تعني، والرمز والأسطورة في مصر القديمـــة، ثـــم نقرأ عن هورودت، وأخناتون، واكتشاف العجلة الحربية، والمعـــبود حنوم، وإيزيس وأوزوريس، وغير ذلك من جهد جهيد ساهم فـــي ربـــط الماضي بالحاضر، كما يساهم في تجهيز الحاضر للمستقبل، ومن بين هؤلاء الذين ساهموا في إزاحة اللثام عن ذلك الماضي لحساب الحاضر أحمد بدوي.

ولـــد المرحوم الدكتور أحمد محمد بدوي في سنة ١٩٠٥ في قرية "أبـــو جـــرج" وهـــي قرية من قرى مركز بني مزار بمحافظة المنيا في

صـــعيد مصر، تلقى أحمد بدوي في قريته التعليم الأولي، ثم حفظ القرآن الكــريم، وتلقـــى تعليمه الابتدائي بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية في "بنـــي مـــزار" ثـــم تلقـــى تعليمه الثانوي في المدارس المصرية بالمنيا والقاهـــرة وحصـــل على الشهادة الثانوية عام ١٩٢٦ من مدرسة فؤاد الأول، والـــتحق بكلـــية الآداب وتخـــرج فيها سنة ١٩٣٠، ثم سافر في بعـــثة إلـــى ألمانـــيا ســـنة ١٩٣١ للحصـــول على الدكتوراه في الآثار المصـــرية، فدرس أولاً في جامعة برلين وحصل منها على الدكتوراه في ينايـــر ســـنة ١٩٣٦، ثـــم واصل دراسته في جامعة "جوتنجن" بعد ذلك، وحصـــل منها على دكتوراه الدولة في نوفمبر سنة ١٩٣٨، ثم عاد إلى مصـــر فـــي نفـــس العـــام ليتولـــى تدريس فقه اللغة المصرية والديانة والـــتاريخ الفرعوني في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة)، وفي ســـنة ١٩٤٠ انـــتدب أحمـــد بدوي – بالإضافة إلى عمله – مشرفاً على أعمال مصلحة الآثار في منطقتي سقارة وميت رهينة.

واســـتطاع فـــي أثـــناء إشرافه العلمي أن يقوم بالتنقيب بين أطلال العاصـــمة القديمـــة "منف" فوفق إلى الكشف عن عدة وثائق على جانب كبيـــر مـــن الأهمية التاريخية والحضارية، فتحت الباب أمام المستعمرين لإقامة جسور الثقافة حول الماضي.

ظـــل الدكـــتور أحمد بدوي قائماً بالتدريس في كلية الآداب بجامعة القاهـــرة حتـــى عام ١٩٥٠، ثم نقل إلى كلية الآداب بجامعة عين شمس (جامعـــة إبـــراهيم يومئذ) أستاذاً ورئيساً لقسم التاريخ والآثار المصرية، ووكـــيلاً للكلـــية في الوقت نفسه، ثم عين وكيلاً لجامعة عين شمس في عـــام ١٩٥٤، ثـــم عين مديراً للجامعة المذكورة في عام ١٩٥٦، وظل

يشـــغل هـــذا المنصب حتى نوفمبر سنة ١٩٦١ حين عين مديراً لجامعة القاهرة ورئيساً للمجلس الأعلى للجامعات.

وفـــي عـــام ١٩٥٦ كـــان قد عين بالإضافة إلى عمله في الجامعة مديـــراً لمركز تسجيل الآثار، وفي سنة ١٩٦٤ تفرغ لهذا المنصب، وقد اختيـــر فضـــلاً عن هذا كله عضواً في عدة هيئات علمية؛ فكان عضواً فـــي جمعـــية الدراسات الأثرية بألمانيا منذ عام ١٩٥٤، كما كان عضواً بجمعـــية الدراســـات التاريخـــية منذ تأسيسها عام ١٩٤٥، وانتخب نائباً لرئيســـها عام ١٩٦٠، ثم انتخب رئيساً لها عام ١٩٦٢، وانتخب عضواً بمجمـــع اللغـــة العـــربية سـنة ١٩٥٩ خلفـــاً للمرحوم الشيخ حسن القاياتـــي، وعضواً بالمجمع العلمي المصري سنة ١٩٦٠، واختير بحكم وظيفـــته عضـــواً بـــالمجلس الأعلـــى لـــرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة ١٩٦٣. ثم اختير بعد ذلك عضواً لشخصه.

وللدكـــتور بـــدوي عدة مؤلفات وبحوث تنم عن سعة علمه وعمق دراســـته فيما يتصل بتاريخ مصر وحضاراتها قبل الإسلام. فمن مؤلفاته التـــي نشـــرت باللغـــة الألمانـــية: المعبود خنوم، ومنف العاصمة الثانية لمصـــر إبـــان عصـــر الدولـــة الحديثة. ومن مؤلفاته التي نشرت باللغة العـــربية: فـــي مـــوكب الشمس، وصدر منه حتى الآن جزآن، والمعجم الصـــغير في مفردات اللغة المصرية القديمة (صدر هذا المعجم في أربع لغـــات: المصـــرية القديمـــة، والقبطية، والعربية، والألمانية)، وكان ذلك بالاشـــتراك مـــع المـــرحوم الأستاذ الدكتور هرمن كيس أستاذ الدراسات المصـــرية القديمـــة بجامعة جو تنجسن، كما صدر له كتاب وحدة وادي النـــيل، بالاشـــتراك مـــع المـــرحوم الأستاذ محمد شفيق غربال، وكتاب

"هيــرودت" (أحاديــثه عن مصر) بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ الدكتور محمد صقر خفاجه عميد كلية الآداب سابقاً.

كمـــا أن للدكـــتور أحمد بدوي عدة بحوث بعضها بالعربية والبعض الآخـــر بالألمانية نشرت في المجلات المختلفة نذكر منها: أيام الهكسوس "بالعـــربية" فـــي مجلـــة الجمعـــية التاريخية العددان الأول والثاني مايو وأكتوبر سنة ١٩٤٨.

وحـــور محـــب بالعربية: نشر في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة المجلـــد العاشـــر ســـنة ١٩٤٨. وجبانة سقارة حول مقبرة بتاح حوتب "بالألمانـــية". ونحـــت اللـــوحة التاريخية الجديدة للملك أمنحوتب الثاني (بالألمانـــية)، علماً بأن الأبحاث الثلاثة السابقة نشرت في مجلة حوليات مصـــلحة الآثار. كما ألقى في مجمع اللغة العربية بحثين: الأول: في حفل اســـتقباله، وقـــد تكلم فيه عن سلفه المرحوم الشيخ حسن القاياتي، كما أشـــار إلى الصلة التي بين اللغة العربية القديمة واللغة العربية. والثاني هـــو اللغـــة المصرية القديمة وصلتها باللغات السامية. وقد اختير ليكون عضواً في عدة لجان منها: لجنة التاريخ والآثار ولجنة المعجم.

توفـــي الدكتور أحمد بدوي في عام ١٩٨٠، توفي الرجل الذي دفعه ســـحر مصـــر إلى البحث عنها، فما درس التاريخ إلا رحلة ارتياد، رحلة اكتشـــاف، لقد سمى نهرو كتابه الجميل في تاريخ وطنه "اكتشاف الهند". فلقـــد حـــاول شـــبان ســـبقوه من جيله أن يقدموا على الرحلة التي أقدم علـــيها ولكن كان حظه أسعد من حظهم فإن مصر في أيامه قد نالت قدراً مـــن حـــق التصرف في شئونها مكنها من أن تحقق له ولأقرانه ما كانوا يصـــبون إلـــيه من درس ماضيها المجيد. فقد أقدم أحمد بدوي على تلك

المغامـــرة العلمـــية ووفق إذ اختار لمغامرته التاريخ المصري، فلا يزال لهـــذا الـــتاريخ شبابه، ولا تزال له طرافته وجدّته وأسراره، ومن يوغل فـــيه بأقـــدام المغامر وعزمه، وصبر الباحث وجده، فإنه يضيء ظلماته، ويفك عقده.

ومـــن إنصـــاف التاريخ أن نقول إنه كان صاحب الفضل في اختيار اســـم جامعـــة عـــين شـــمس التي نشأت أولاً باسم "جامعة إبراهيم باشا الكبيـــر"، ثم تغير اسمها لمدة سنة تقريباً عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ إلـــى "جامعة هليوبوليس"، حتى جاء أحمد بدوي واختار لها اسم "جامعة عين شمس" إحياء لاسم جامعة عين شمس القديمة.

رحـــم الله من جمع بين شجاعة الصراحة، ورفعة العفة في اللسان، والإخـــلاص في معاشرته الكريمة في الحياة الجامعية والعلاقات الأخوية، لقد شهد الكل بأنه كان خير رفيق على الطريق.



محمد زكي عبد القادر

الرجل الذي لم يكن شيوعياً



محمد زكي عبد القادر

لم يؤيد ثورة ٢٣ يوليو تأييداً واضحاً، كما أنه لم يعارضها معارضة واضحة، واكتفى بأن يرقب الأحداث، واستمر يبدي رأيه في الأوضاع الاجتماعية العامة، وإن كانت البهجة الطارئة والفرحة المفاجئة قد طغت عليه في الفترة الأولى لرغبته في التغيير، والتخلص من القصر ومن ضغطه على الحريات، وقد دعاه "محمد فؤاد جلال" للمشاركة في لجنة استشارية لمجلس قيادة الثورة في أغسطس ١٩٥٢ وكان عدد هذه اللجنة ٣٠ عضواً منهم "محمد فريد أبو حديد، وزكي هاشم، وحسن كامل سليم، ووليم سليم حنا، ومريت غالي، ومحمد فؤاد جلال .. وغيرهم". وبعض هؤلاء الثلاثين وصل إلى الوزارة، وبعضهم وصل برقبته إلى حبل المشنقة.

نحو النور .. سارت وصارت حياته، فمنذ شبابه الباكر كان أقرانه يقصدونه المشورة، فيقدم الرأي بأدب جم في حدود ما أتيح له من رؤية. فعلى أعتاب الثلاثينيات من هذا القرن قصده "حافظ محمود" وصديقه السوداني معاوية نور" فلم يأخذ الزهو بلبه ولم تتعثر خطاه بفعل الغرور، ولكنه أشار على صاحبيه أن يذهبوا ثلاثتهم ويتلمسون الرأي لدى أديب يكبرهم عمراً هو "محمود تيمور"، كان ذلك في عام ١٩٢٩، وتيمور في الثامنة والثلاثين من عمره، أما هو ففي الثالثة والعشرين؛ إذ إنه ولد في بلدة فرسيس محافظة الشرقية سنة ١٩٠٦، وتلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الإلهامية التي سميت فيما بعد (بنبا

قـــادن)، ونـــال شـــهادة الكفاءة سنة ١٩٢٠، والتحق بمدرسة الزقازيق الـــثانوية وحصل منها على شهادة الدراسة الثانوية في سنة ١٩٢٢، ثم الـــتحق بمدرسة الحقوق، وتخرج فيها سنة ١٩٢٦ حاصلاً على ليسانس الحقـــوق، وقـــد عـــين محرراً بجريدة السياسي، وبعد إغلاقها في سنة ١٩٣١ عمـــل بالمحامـــاة، ثم أصدر مجلة "فصول" التي استمرت بعض الـــوقت. وعـــين محرراً بجريدة الأهرام كان ذلك في سنة ١٩٣٧، ومنذ ســـنة ١٩٣٨ بـــدأ عمـــوده الصحفي نحو النور، وهذا بالقطع من أشهر الأعمـــدة الصحفية ومن أكثرها احتراماً، وثماراً للقراء، وظل محمد زكي عـــبد القـــادر يكـــتب نحو النور في جريدة الأهرام ثم في جريدة الأخبار وأخـــبار الـــيوم منذ فبراير ١٩٣٨حتى ٧ مارس ١٩٨٢ يوم رحيله أي ظـــل يقدم ثماره على مدى ٤٤ عاماً بقلم عفّ لا يعرف التجريح الأهوج، ولا يعـــرف المهادنـــة الذلـــيلة، رأى فيه القراء نموذجاً للكاتب الناضج المتـــزن مـــع ســـلامة الطوية وحسن القصد، والمهل للحرية دون حدود وبـــلا انفعال.. ولأنه عاش يتكلم بقلمه، فإنه لجأ في كثير من الأحيان في عمـــوده اليومي إلى أسلوب الحوار بين الشيخ وتلميذه، وهو أسلوب لجأ إلـــيه بعض الأدباء يريدون به طرح الرأي والرأي الآخر، أو طرح آراء الأجيال المختلفة.

وقـــد كـــتب عمـــوده الصحفي اليومي أكثر من ستة عشر ألف مرة بـــنفس المـــنهج، واخـــتلف مع طه حسين عندما نادى بأن يكون التعليم كالمـــاء والهـــواء، ورأى محمـــد زكـــي عـــبد القادر بأن يكون الاهتمام الأساســـي بمحـــو الأمـــية قـــبل الاهـــتمام بالتوسع في التعليم الابتدائي والـــثانوي والجامعي، واتفق مع الحكومة في سنة ١٩٧٨ حينما اتجهت

النـــية إلـــى إلغاء وزارة الثقافة، وأصدر مقاله نحو النور يقارن فيه بين الـــثقافة التي ازدهرت عندما لم تكن لها وزارة، ثم خبت وخفتت بعد أن كـــان لهـــا وزارة ووزراء وطابـــور من وكلاء الوزارة، ولعل هذا الرأي الحـــر هـــو الذي جعل صدقي باشا يعتقله فجر ١١ يوليو ١٩٤٦ متهمه بالتـــرويج للشـــيوعية. وهي ما عرفت بقضية الشيوعية الكبرى، والتي قـــبض فيها على حوالي مائتين من الكتاب والصحفيين والمفكرين وقادة الـــتجمعات المهنـــية المخـــتلفة، وأغلـــق إسماعيل صدقي صحف الوفد المصـــري وعدداً من دور النشر، ولم يكن هناك شيء بالطبع يدين محمد زكـــي عـــبد القادر، وكان تقرير القلم السياسي يقول إن "هنري كورييل" الداعـــية الشـــيوعي المعـــروف طلب منه إنشاء خلية شيوعية بالأزهر. والمـــتأمل فـــي مـــؤلفات محمد زكي عبد القادر ومقالاته وفي الجمعيات التـــي شارك في نشاطها لا يلمس أية اتجاهات شيوعية ولا يسارية لديه، وإنمـــا هـــو كاتـــب وطني وديمقراطي يسعى إلى درجة معتدلة من العدل الاجتماعي لبناء وطنه.

كمـــا دعي محمد زكي عبد القادر لإلقاء محاضرات على طلبة معهد الصـــحافة بجامعة القاهرة في سنة ١٩٤٧، وأشرف على جريدة الأهرام بعـــد وفـــاة رئيس تحريرها "أنطوان الجميل" وكان ذلك في سنة ١٩٤٨ إلـــى ســـنة ١٩٥٠، وفـــي هـــذه السنة انتقل إلى مؤسسة "أخبار اليوم" والتـــي ظـــل حتى وفاته بها، كما اختير محمد زكي عبد القادر في سنة ١٩٥٦ رئيســـاً لتحريـــر "المخـــتار" وهي الطبعة العربية لمجلة "ريدرز ديجســـت"، وانـــتخب لعضـــوية مجمـــع اللغة العربية بالقاهرة في سنة ١٩٨٠ في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الدكتور عثمان أمين.

وإلــى جانــب هذه الحياة الصحفية الحافلة بالنشاط كان هناك جانب آخــر شــغل نشــاطه، وهــو نشاط التأليف، فقد ترك ثمانية عشر كتاباً للمكتــبة العــربية هي: أقدام على الطريق، والحرية والكرامة الإنسانية، وصــور مــن أوروبــا وأمــريكا، ورسائل ومسائل، وكتابه "قال التلميذ للأسـتاذ"، "والله.. فــي الإنســان إرادة أم قدر"، وكتابه "حياة مزدوجة"، و"الخــيط المقطوع"، و"على حافة الخطيئة"، و"أجساد من تراب"، و"نماذج مــن النســاء"، و"الدنــيا تغيــرت"، وكتابه "وعاء الخطيئة"، و"الخواجة ابــرامينو"، و"مخــتارات مــن نحــو الــنور"، و"محنة الدستور من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٥٢"، ثم ختم مؤلفاته بكتاب "أشتات من الناس".

ومــنذ أن انتخب لعضوية مجمع اللغة العربية كان يشارك في نشاط مجلــس المجمــع ومؤتمره ولجانه، ومن اللجان التي شارك محمد زكي عــبد القــادر فــي عضــويتها: لجــنة الألفاظ والأساليب، ولجنة ألفاظ الحضــارة، ولجــنة الأدب، كمـا ساهم ببحث في مؤتمر الدورة السابعة والأربعين.

لم يكن يعلم محمد زكي عبد القادر أنه سوف يموت في أحد مطاعم وســط القاهرة في يوم ٧ مارس من سنة ١٩٨٢، بل كان يعلم أنه دائماً علــى مــوعد مع الموت، ففي مذكراته: عن الحياة في زهو العمر مخلفاً وراءه طفلــين هــم في أشد الحاجة إلى الحب والحنان، ومخلفاً أباً طعنه الحــزن علــى الابــن الذي كان يحمل عنه عناء الإشراف على الزراعة وأداء الواجــبات الاجتماعــية والسياسية، وجاءت الأنباء في الريف أن أبــاه فــي حالــة سيئة، وبلغ الريفَ والشمس تميل إلى الغرب. هل هي الشمس التي ترحل أم حياة إنسان عزيز؟

وشـــهد الموت وواجهه مع طفلته التي لم تتجاوز شهورها الثمانية، وأتاهـــا الأجل والليل وليد، وخيّل إليه أن الخيط الأسود الذي يفصل الليل والـــنهار هو نفس الخيط الذي يفصل بين الحياة والموت، عايش الموت والحـــياة حقـــيقة واقعـــة متمثلة في الطفلة المسجاة إلى جواره، وشهد المـــوت مـــرة أخـــرى، في طفل آخر، هو ابنه أيضاً الذي مات في نفس عمـــر أخـــته، وبعـــد سنوات كان في اليونان في دعوة لرحلة سياحية، وابـــتعدت الســـفينة عن أثينا، كان البحر في حالة من التوازن والأمواج خافـــتة، وفـــي أثناء تناول طعام العشاء، وما كادت الساعة تبلغ التاسعة حتـــى بـــدأت السفينة تهتز والبحر يحاول ابتلاعها، وساد هناك حالة من الســـكون إلا مـــن صـــوت البحـــر والريح، فتطلع من غرفته فإذا بالبحر مـــيدان ســـباق لـــنمور وأسود مفترسة. فأعد نفسه للنهاية التي لا مفر مـــنها، وتـــوجه بالصـــلاة إلى الله وسأله ألا تكون النهاية في هذا البحر الهـــائج المخيف وبعيداً عن أرض الوطن، واستقر البحر على حاله حتى الصـــباح، ثـــم عاد إلى حالة الوداعة والسكينة، فما كان من محمد زكي عبد القادر إلا الخشوع لله .. وهكذا الإنسان.

الباقوري

زعيم ثورة الأزهر

الباقوري

وقــف فــي ســنة ١٩٣٥ مــندوب الطلــبة في الخطابة ورئيس اتحــادهم فــي إحدى الحفلات الوطنية، وفي حضور كل الزعماء في هذا الــزمن وقــف يخطــب، فارتفعت عباراته إلى السماء، في إلقاء متزن، وألفــاظ مخــتارة، وضعها كالصائغ الدقيق حينما يضع حجراً كريماً في موضــعه، فخيل لمن سمعه أنه يسمع زعيماً مسؤولاً من زعماء المنابر، أو قائــداً سياسيّاً وطنيّاً من قادة الثورة، ولكن ما لم يعرفه من سمعه من الــذين كرموه من زعماء مصر وقتئذ، ومن الذين أشادوا به من الكتّاب، ومــن الصــحفيين الــذين نشروا اسمه بالبنط العريض في صحفهم، أنه كان يصارع الجوع ويفري البرد عظامه.

كــان والــده يمتهن التجارة، ثم تراءى له أن يجمع بين الزراعة والــتجارة أمــلاً في تحسن أحوال أسرته والتي كانت تتكون من زوجته وابنــته وثلاثة أولاد أكبرهم أحمد حسن الباقوري، ولذلك استأجر الوالد مســاحات كبيرة من الأرض في قريته، واشترى ماكينة ري، والأراضي كانــت ملكاً لأحد المرابين، وتصادف أن فاض النيل فيضاناً أتى على كل زراعــة الــوالد الطمــوح، فلم تعط الأرض محصولاً، ولم يبق في الدار قــرش، فنــزع المرابــي الأرض وما بقي عليها، فخربت الدار وتشردت الأسرة، وقعت هذه المأساة في عام ١٩١٩.

والــباقوري ولــد سنة ١٩٠٧ في قرية باقور بمحافظة أسيوط، وإليها ينسب، والتحق بكتاب القرية حيث درس دراسته الأولى، وبعد أن

حفــظ القــرآن الكــريم، أوفده والده إلى أسيوط لينتظم في معهد أسيوط الدينـــي، وبــرغبة جارفة في العلم وبشعور عميق من المسؤولية أنهى الصـــبي أحمـــد حســـن الـــباقوري المرحلة الأولى وحصل على الشهادة الابتدائـــية عام ١٩٢٦. وكان النظام في الأزهر يسمح للطالب أن يؤدى امـــتحان الشهادة الثانوية دون التقيد بسنوات الدراسة أو الانتظام فيها، ولـــم يتـــردد الباقوري فتقدم في العام التالي مباشرة دون دراسة نظامية أو حتـــى انتساب إلى المعهد، وأدى امتحان الشهادة الثانوية، ونجح، ثم الـــتحق بالقســـم العالـــي حيث أرسله والده إلى القاهرة، كما كانت إدارة الأزهـــر تصـــرف له "الجراية" وهي عبارة عن أربعة أرغفة كبيرة وفول نابت وعدس.

حتـــى هذا، كانت الحياة كلها مذاكرة ومتابعة للدروس في صحن الأزهـــر الشـــريف، متلهفاً على أن ينهي مرحلة التعليم حتى يريح والده من الجهد الذي يبذله كي يوفر له جنيهاً شهريّاً، ولكن حدث ما شده إلى الحـــياة العامـــة، فقـــد نشب خلاف بين محمد علي علوبة باشا والشيخ محمـــد بخـــيت مفتـــي الديار المصرية. كان محمد علي علوبة يرى أن الوقـــف خطـــر على الإسلام والمسلمين، ونظمت محاضرات كان الطلاب يحتشـــدون لها حشداً بغير إرادة ولا عقل، وذهب الباقوري مع غيره من زملائـــه للاســـتماع إلى الشيخ بخيت، الذى لم يعجب بأسلوبه أو منطقه فـــي مهاجمـــة معارضيه، فاندفع الباقوري ينتقد الشيخ بخيت أمام بعض الحاضـــرين وهـــو لا يتصـــور أنهم من أنصار الشيخ بخيت المتعصبين، فـــوجد نفسه فجأة يتعرض "لعلقة" شديدة ظلت ماثلة أمام عينيه، وعالقة بذهـــنه حتى أصبح وزيراً للأوقاف عام ١٩٥٤، فكان أول ما سعى إليه

هــو استصـــدار قانون بحل الوقف. ولكن ما شدّه إلى الحياة العامة أكثر هـــي تلـــك العلقـــة الثانـــية التي كان لها أثر أعمق وأقسى، فقد كان في طـــريق عـــودته من كلية اللغة العربية في شارع البراموني بالقرب من قصـــر عابـــدين، وصعد على الإفريز الملاصق للقصر وهو لا يدري أنه أتى أمراً مثيراً وأخطأ خطأً كبيراً، فقد كان القصر الملكي قد أصدر أمراً بتحـــريم الســـير علـــى الإفريـــز الملاصق للقصر، وفجأة تصدى للشيخ الـــباقوري عمـــلاق يـــرتدي زي جنود القصر، وبلهجة صعيدية حاسمة أمـــره بالنـــزول عـــن الإفريـــز، وظن الشيخ الشاب أنه قادر على إقناع الجـــندي "بلدياتـــه" بالحسنى بأن السير على الإفريز ليس ذنباً أو جرماً، ولكـــن الجـــندي العمـــلاق اختصر المناقشة، ولكمه لكمة طرحته أرضاً، ومـــنذ هـــذه اللحظـــة وهو يسأل نفسه في غضب: كيف يمنع الناس من الســـير علـــى إفريـــز الشارع ؟ وتوالت الأسئلة حتى شملت كل ما يمس وطـــنه الصـــغير "باقـــور" ووطـــنه الكبير "مصر"، وكان قد حصل على الشـــهادة العالمية وتقدم للتخصص في البلاغة والأدب التي حصل عليها فـــي سنة ١٩٣٦، وبعد تخرجه عين مدرساً في معهد القاهرة الأزهري، ثـــم نقـــل منه وكيلاً لمعهد القاهرة، ثم شيخاً لمعهد المنيا، ولم يمكث بها غيـــر قليل إذ اختير وكيلاً لمعهد أسيوط الديني، ثم نقل منه وكيلاً لمعهد القاهرة، ثم شيخاً لمعهد المنيا الديني، وفي سنة ١٩٥٢ بعد قيام الثورة بقلـــيل اختيـــر وزيراً للأوقاف، ثم وزيراً للأوقاف في الوزارة المركزية للجمهـــورية العـــربية المـــتحدة (مصـــر وسوريا) من سنة ١٩٥٨ إلى ١٩٥٩، وفـــي يوليو سنة ١٩٦٤ عين رئيساً لجامعة الأزهر حتى سنة ١٩٦٨.

وللأســتاذ الــباقوري عقــل موسوعي المعرفة، في علوم الدين واللغــة وبعــض العلوم الحديثة، وله روح ثابتة جعلته يشارك منذ كان طالــباً في كثير من حركات الإصلاح. وكان من أبرز مشاركاته اشتراكه فــي لجــنة الطلــبة سنة ١٩٣٤ ممثلاً للأزهر، ثم زعامته سنة ١٩٣٥ للــثورة التــي تعــد من أبرز الثورات التي قام بها الأزهر، والتي نجح الطلــبة في إجبار الزعماء على تشكيل الجبهة الوطنية، قبلها وقف على منبــر الأزهــر يهز النفوس ويشعلها ثورة، فدخل السجن لأول مرة في عــام ١٩٣٤، ومــرة أخرى – في عام ١٩٣٨ – وجد نفسه في السجن مــع زميله وصديقه الشيخ عبد الرحمن فوده بتهمة تحريض الطلبة على الإضراب.

وفــي عــام ١٩٤٠ تــزوج الشيخ أحمد حسن الباقوري من ابنة عــالم جليل هو الشيخ محمد عبد اللطيف دراز، وبعد سنتين من زواجه اعــتقل فى سجن الأجانب، ثم نقل إلى معتقل المنيا بالصعيد حيث أمضى عامــين تقــريباً وراء الأسوار، وبعد الإفراج عنه واصل العمل من أجل وطــنه حســب ما كان يلهمه ضميره الوطني وإيمانه بدينه الحنيف حتى استقر به الحال.

وهــو يفخــر بأنه بدأ أول خطوة للكليات العلمية في الأزهر وهي الطــب والهندسة والزراعة وهو يقول: "لقد خلق الله الإنسان لحماً ودماً ثــم نفســاً وروحــاً، جانبان لكل منهما خصائص ومطالب، وقد انصرف الأزهــر إلى العناية بالجانب الروحي، أو بعبارة أوفى إلى الحق، أريد له أن ينصــرف عن هذه العناية، فالأزهر كما يقول التاريخ كانت تدرس فيه مــن القديم علوم الفلك والميقات والطب والمواليد والرياضة والحساب،

وعـودة الأزهر إلى تنظيم وإنشاء الكليات العلمية نصر للإسلام، فأبناؤه الـيوم يجاهـدون فـي المجـال المـادي إلى جانب جهادهم في المجال الروحـي، وهم يعالجون شؤون الدين بروح الدنيا، وهذا ما يجعل الأزهر قادراً على خدمة الإنسان بمعنييه جميعاً: روحه وجسده".

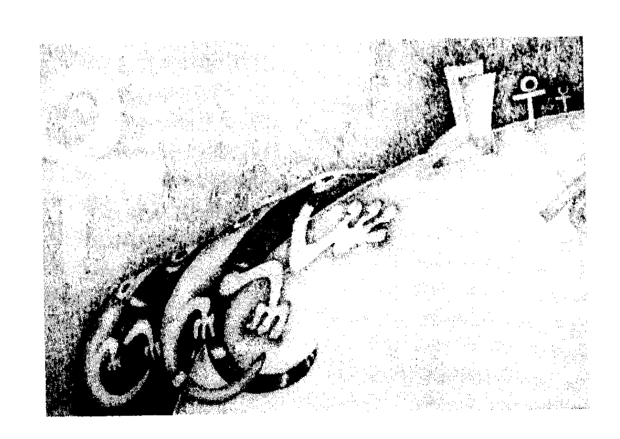
كمـا اشـترك الشـيخ الـباقوري في بعض الجمعيات الإسلامية والخيـرية، وعـين عضـواً فـي مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. أما انـتخابه لمجمـع اللغة العربية فقد كان في سنة ١٩٥٦ في المكان الذي خـلا بـوفاة المـرحوم الدكتور أحمد أمين، وهو يشارك في نشاطه، في مجلسـه، وبعـض لجانـه حتى، تاريخ وفاته في رحلة علاجه للندن في ٢٧ أغسطس ١٩٨٥.

وقـد أثـرى الباقوري المكتبة العربية بمجموعة مؤلفاته ومنها: أثـر القـرآن الكـريم فـي اللغة العربية، وكتابه عروبة ودين، وكتابه خواطـر وأحاديـث، وفي عالم الصيد، ومع الشريعة، وكتابه مع القرآن حـول جـزء تـبارك، والشريعة والبيزرت، وتحت راية القرآن، وصفوة السـيرة المحمديـة، وكتابه من دلائل النبوة، ثم قطوف من أدب النبوة. والأسـتاذ الـباقوري كان عضواً في العديد من الهيئات، منها: المجلس الأعلـى للأزهـر، والمجلـس الأعلـى للشؤون الإسلامية، ومدير معهد الدراسـات الإسـلامية، وعضـو مجلـس الشـورى، كما كرمته الدولة وبعـض الدول الإسلامية فحصل على وشاح النيل من الطبقة الأولى سنة ١٩٥٥، وكسـوة التشريف من الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٩٤٥، وكسـوة التشـريف والسيف الذهبي من الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٩٥٣، ووسـام النهضـة مـن الدرجـة الأولى من الملك حسين ملك

المملكـــة الأردنـــية الهاشمية عام ١٩٥٣، ووسام من خليفة تطوان عام ١٩٥٥، ووســـام ووشاح الجلالة الشريفة من الملك محمد الخامس ملك المغرب عام ١٩٥٥، ووسام أمية من الجمهورية السورية عام ١٩٥٧، واســـتمر الشيخ الباقوري في حالة من العطاء، ولكنه لا ينسى أيام الفقر وأيام الجهاد على مدار ٧٨ عاماً لم يتوقف عن العطاء فيها.

حامد جوهر

رائد النشاط العلمي في علوم البحار



حامد جوهر

دعـاه إمبراطور اليابان -وكان من أبرز المهتمين بعلوم البحار- إلـى زيـارة الـيابان .. وجلس الإمبراطور والإمبراطورة، وولى العهد وزوجـته وكـبار علمـاء الـبحار فـي الـيابان يستمعون إليه. وألقى محاضـرته علـى مدار ساعتين، لكن الزيارة لم تنته، واستمرت ما يزيد عـن شـهرين، كان خلالها ضيفاً يتسابق الجميع إلى تكريمه والاحتفاء بـه. ليس لأنه ضيف الإمبراطور، ولكن لأنه أحد علماء العالم القلائل في علـوم الـبحار .. وتعمـد أن يسـقط الإسكندرية، وبورسعيد، ومرسى مطـروح، ورأس البـر من حسابه، وكان هذا لحساب شاطئ الغردقة، لا كمصيف .. بل دراسة وعلماً جاداً.

فقـد وقف على شاطئ الغردقة حينما زارها لأول مرة يتطلع إلى شـاطئ البحـر الأحمر والى مياهه الساحرة، وأحس أنه يقف أمام عالم ملـيء بالأسـرار والكنوز، كانت الطبيعة في هذا الشاطئ الجميل جزءاً بسـيطاً مـن الحقـيقة الماثلة أمامه، بهرته الطبيعة وذكرته بأيام صباه عـندما كان يهوى الموسيقى والشعر، ولكن ما رآه بالعين المجردة على شـاطئ البحر الأحمر كان قليلاً من كثير اكتشفه حامد عبد الفتاح جوهر بعد ذلك خلال السنين التي قضاها على هذا الشاطئ.

ولد الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٧ فـي حـيّ سوق السلاح بالدرب الأحمر بمدينة القاهرة، وكان أبوه يعمل تاجـر أخشـاب، وألحقـه بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية الابتدائية،

وحفــظ جانــباً مــن القرآن الكريم، ثم التحق بالمدرسة الثانوية الملكية، وقــد تــتلمذ علــى يــد الأســتاذ عبد الله عفيفي الذي أثر فيه حبه للغة العــربية، كما قرأ شعر شوقي وحافظ ومطران وغيرهم من المعاصرين، وكــذلك قرأ شعراً للبحتري والمتنبي وأبي تمام وابن المعتز وغيرهم من القدامى. وتعلم على كتابات المنفلوطي والمويلحي والزيات وأحمد أمين، والــتحق بكلية الطب، ولكنه بعد نجاحه في السنة الأولى قرر الاستمرار فــي دراســة العلــوم بكلية العلوم حتى تخرج وعمل بها معيداً. وحصل علــى الماجســتير في فسيولوجيا الحيوان، وفتنته كائنات البحر الأحمر فــتحول إلــيها ولم يتحول عنها، وحصل على الدكتوراه في العلوم سنة ١٩٤٠. وكــان أول مــن حصــل عليها من خريجي الجامعة المصرية، وتولــى أمــر محطة الأحياء البحرية بالغردقة منذ نشأتها وطيلة أربعين ســنة. كــان مدير المحطة في الغردقة وقتئذ إنجليزياً ورأى أن الظروف تحــتم علــيه تعيــين مساعد له، ولكنه تصور أن هذا المساعد لا بد أن يكــون إنجليــزياً مثله. وعرف الشاب حامد جوهر هذا الخبر فتقدم إلى الجامعة عارضاً استعداده للعمل بالغردقة.

لــم يكن في الغردقة مساكن مريحة ولا فنادق متسعة. بل لم يكن فيها ما يغري شاباً قاهري النشأة بالحياة فيها، ولكن حامد جوهر ضحى بالحــياة في القاهرة. كما ضحى بالعمل في مدرجات الجامعة وانتقل إلى الغردقة في عام ١٩٣٤.

وفــي ســنة ١٩٣٦ زارت المنطقة مجموعة من أساتذة جامعة كمبردج فأثــار العالم المصري الشاب في ذلك الوقت اهتمامهم وإعجابهم فوجهوا لــه الدعــوة لزيارة جامعتهم. ولم تكن هذه الزيارة منحة علمية لأن هذا

لم يكن بالشيء الهين وإنما كانت منحة استضافة.

وبعـد ذلك زار كل مناطق الأحياء المائية في إنجلترا، وأسكتلندا، وفرنسـا، وألمانـيا، والنمسـا، وإيطاليا، حتى تمكن من الحصول على درجة الدكتوراه في الحيوانات المرجانية.

واستمر في الغردقة يواصل بحوثه وأبحاثه حتى انتخبته أكاديمية العلـوم فـي واشنطن عضواً رسمياً في المؤتمر الدولى لمعاهد الأحياء البحـرية سـنة ١٩٥٥، كمـا اخـتارته الأمم المتحدة في سنة ١٩٥٧ مستشـاراً للسـكرتير العام في علوم البحار للاشتراك في مراجعة قانون مقتـرح للـبحار، وكان السكرتير العام للأمم المتحدة هو داج همرشولد الـذي شـكل لجنة في فروع متخصصة، منها القانون البحري، وضمت عالمـاً فـي المصايد من الهند، وعالماً للناحية العلمية في علوم البحار، وكـان هـو الدكـتور حامـد عـبد الفتاح جوهر الذي ظل يعمل لعامين متتاليـين مسـاعداً لسـكرتير عام الأمم المتحدة. كما ساهم في الإعداد للمؤتمـر الدولـي الأول لقانون البحار في جنيف سنة ١٩٥٨. وانتخب الدكـتور حامـد جوهـر أيضـاً عضواً مراسلاً للمجمع الهندي للأحياء البحـرية، وتـرأس جمعـية علـم الحيوان بمصر منذ إنشائها في سنة ١٩٥٨.

كمـا كـان يعمـل رئيساً للجمعية المصرية لعلوم البحار، وزميلاً بالأكاديمـية المصـرية للعلوم منذ سنة ١٩٤٨، وعضواً بالاتحاد العلمي المصـري، وعضـواً بالمجمع المصري للثقافة العلمية. كما عمل زميلاً لأكاديمـية علـم الحيوان الدولية بالهند، وعضواً بلجان ومجالس علمية كثيرة غير ذلك.

وقـد انـتخب عضواً بمجمع اللغة العربية في سنة ١٩٧٣ وذلك في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي.

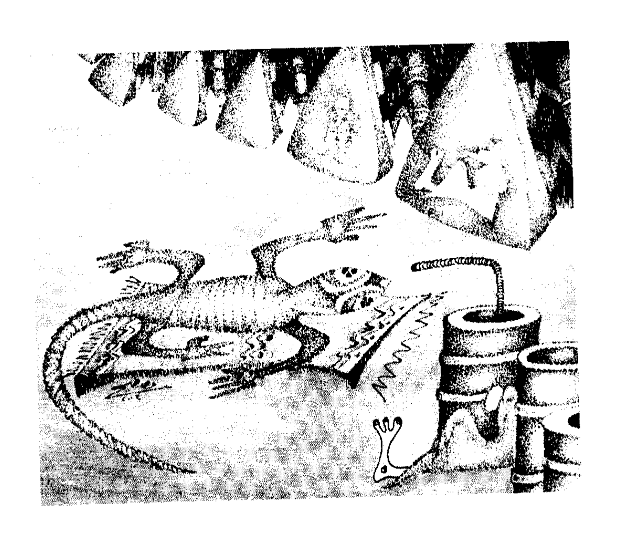
والنشـاط العلمـي للدكتور حامد جوهر وافر ومتنوع، وذلك بين نشـاط علمـي تطبيقـي، ونشاط نظري تأليفي، فهو يعتبر رائد النشاط العلمـي فـي مجـال علـوم البحار. وقد أنشأ متحفاً بحرياً رائعاً يحوي مجمـوعات مـن حـيوان البحر الأحمر ونباته. كما أنشأ معهد الأحياء المائـية بعـتاقة بالسـويس، وأنشأ متحفاً آخر وكثيراً من معامل البحث المائـية، أمـا بحوثه في هذا المجال فمتنوعة وكثيرة. وقد نشر بحوث محطـة الأحياء المائية وتبادلها مع المعاهد العالمية المناظرة، وقد كسب الدكـتور حامد عبد الفتاح جوهر ببحوثه وجهوده، شهرة عالمية، فدعي إلـى الاشـتراك في المؤتمرات الدولية في علم الحيوان، وعلوم البحار، والمصـائد، والبيولوجـيا الإشعاعية وأسهم فيها ببحوثه المبتكرة. وزار عـدداً من الجامعات والمعاهد الخاصة بعلوم البحار، وحصل على جائزة الدولـة في العلوم سنة ١٩٥٣، وعلى جائزة الدولة التقديرية في العلوم سنة ١٩٧٣.

ومـنذ أن انضـم الدكـتور حامـد عـبد الفتاح جوهر إلى ركب المجمعيـين وهـو يشـارك مشـاركة فعالـة في نشاط المجمع وإنتاجه العلمـي، في لجانه ومجلسه ومؤتمره، ومن اللجان المجمعية التي شارك فـيها: لجـان علـوم الأحـياء، والـزراعة، والكيمـياء، والصـيدلة، والجيولوجـيا، والـنفط، ولعـل خيـر شاهد على هذا المجهود، المعجم الجيولوجـي فـي طبعـته الثانية، والذي أسهم فيه الدكتور حامد جوهر مساهمة كبيرة، كما أسهم في معجم مصطلحات علوم الأحياء.

كمـــا كـــان له برنامج تليفزيوني متخصص في عالم البحار يتطلع إلـــيه المشـــاهدون المـــثقفون وطـــلاب الـــثقافة؛ ليروا من خلاله العالم المجهـــول والساحر، حتى ودّع الحياة بعد أن أمضى زهرة شبابه وسني كهولـــته باحـــثاً دارساً للبحر، وخبيراً عالميّاً مرموقاً من خبرائه، وترك للناس عشرات البحوث المنشورة في أرقى المجلات العلمية.

مختار

صديق الفيزيقا



مختار

دخـــل على طلابه في كلية العلوم، وقال لهم: تسع أشياء نحتاجها كــي نــبدع، ولا نحــيا إلا بهـــا ولا نحســن إلا معها: الفعل محتاج إلى الــتجارب، والــنجدة محــتاجة إلــى الجد، والحسب محتاج إلى الأدب، والســرور محــتاج إلى الأمن، والقرابة محتاجة إلى الصداقة، والشرف محــتاج إلــى التواضــع، والعمر محتاج إلى الصحة، والمال محتاج إلى الكفايـــة، والاجتهاد محتاج إلى التوفيق، فلسنا عبوراً في هذا الزمان كي لا نجــرب، ونحـــن عبور في هذا الزمان حتى لا نطغى، وهذا ليس ببعيد عن الفيزيقا.

ولـــد الدكتور محمود مختار في أخريات العقد الأول من هذا القرن ســنة ١٩٠٨، وتلقـــى تعلــيمه بمدرســـة خليل أغا الابتدائية ومدرسة الــزقازيق الثانوية، واختير ضمن الرعيل الأول الذي التحق بكلية العلوم بالجامعـــة المصـــرية (القاهرة حاليّاً) عند إنشائها عام ١٩٢٥، وحصل مـــنها علـــى درجـــة الـــبكالوريوس في العلوم الفيزيقية والرياضية عام ١٩٢٩، ثـــم درجـــة الماجستير في الفيزيقا عام ١٩٣٥ وأوفد في بعثة لإنجلترا حيث حصل على الدكتوراه عام ١٩٣٩.

وتـــدرج الدكتور محمود مختار في وظائف التدريس بكلية العلوم مـــن معيد للفيزيقا إلى مدرس فأستاذ مساعد فأستاذ فوكيل للكلية وعميد لهـــا حتـــى أحـــيل علـــى المعاش عام ١٩٦٧، وعندئذ اختارته الجامعة الأمـــريكية بالقاهـــرة أســـتاذاً للفيزيقا بها لفترة ٣ سنوات، كما اختارته

كلية العلوم بجامعة القاهرة، أستاذاً متفرغاً بها.

وللدكـــتور مخـــتار نشاط داخل الجامعة وخارجها. فقد أسهم في إرســـاء قـــواعد الدراسة والبحث العلمي على مدى اثنين وخمسين عاماً متصـــلة، قام فيها بتطوير تعليم الفيزيقا لمسايرة التقدم العلمي السريع، وأشـــرف علـــى بحـــوث ما يربو على ٨٥ طالباً للماجستير و٣٥ طالباً للدكـــتوراه، وأدخـــل فـــيها دراســـة الفيزيقا الإشعاعية، وأنشأ بها أول مدرسة متخصصة في عالم فوق السمعيات.

وامـــتد نشاطه العلمي خارج الجامعة، فأنشأ مدرسة أخرى لفوق الســـمعيات بالمركز القومي للبحوث، وانتشر تلاميذه في جميع الجامعات المصـــرية والعـــربية يوالـــون البحث والتطبيق في هذا التخصص وفي فـــروعه الهندســـية والبيولوجـــية والطبـــية، ووجه الدكتور مختار حبه للموســـيقى وتخصصه في الصوتيات لإجراء بحوث في السلم الموسيقي الشرقي بهدف تقنينه وتنقيته من الصفة السماعية التي لازمته.

وفـــي مجـــال الطاقة النووية اختير عضواً في الرعيل الأول الذي وكـــل إلـــيه إنشـــاء مؤسســـة الطاقة النووية، ومنح من أجل ذلك وسام الاســـتحقاق عـــام ١٩٥٦، وعمـــل عضواً بأول مجلس لإدارة المؤسسة لفتـــرة أربـــع سنوات، ووجه الدكتور مختار عناية خاصة لتحقيق وقاية العاملـــين فـــي مـــيدان الأشعة من أخطار التعرض لها، فكان له الإسهام الأول فـــي وضـــع قانـــون خـــاص بشيءون الوقاية صدر عام ١٩٦٠، واخـــتارته وزارته وزارة الصحة مستشاراً للهيئة العليا للأشعة ولجنتها الفنـــية ومكتبها التنفيذي. وأنشأ أول مدرسة للبحوث الإشعاعية والوقاية من أخطارها في أكاديمية البحث العلمي ورعاها.

ومـــن نشـــاطه العلمـــي خـــارج الـــتدريس الجامعي اشتراكه في التخطـــيط وإنشـــاء المعهـــد القومي للمعايرة في أكاديمية البحث العلمي الـــذي زاول نشـــاطه فيه مستشاراً علميًا ورئيساً لمجلس إدارته. وامتد نشـــاطه العلمي إلى عدد من الهيئات العلمية الدولية، فانتخب عضواً في الاتحـــاد الدولي للفيزيقا البحتة والتطبيقية، كما انتخب عضواً في اللجنة الدولـــية لتعلـــيم الفيزيقا، واللجنة الدولية للصوتيات، والمجلس الدولي للاتحـــادات العلمـــية. وعلى الصعيد القومي أنشأ اللجنة القومية للفيزيقا ورأس مؤتمـــراً بهـــا عامـــي ١٩٧٨، ١٩٨٢ عن تطوير تعليم الفيزيقا بالجامعـــات، وعمـــل نائـــباً لـــرئيس المجلس النوعي للبحوث الفيزيقية والإلكتـــرونية بأكاديمية البحث العلمي، وأنشأ الجمعية الفيزيقية المصرية ورأس مجلـــس إدارتهـــا وهيئة تحرير مجلتها على مدى ثمانية أعوام، وكـــان رئيس مؤتمراتها في الأعوام ١٩٧١، ١٩٧٨، وساهم في إنشاء الجمعـــية المصـــرية للعلـــوم الرياضية والفيزيائية ورأس تحرير مجلتها علـــى مـــدى ٣٨ عاماً. كما أنشأ مجلة " بحوث النظائر والإشعاع " عام ١٩٦٧ ورأس تحريـــرها على مدى ١٥ عاماً، وانتخب عضواً بالمجمع العلمـــي المصـــري، والأكاديمـــية المصـــرية للعلوم، والمجمع المصري للـــثقافة العلمية، وهيئة التوحيد القياسي، هذا ما كان من نشاطه العلمي الثقافي.

ووجـــه الدكـــتور مخـــتار اهتماماً بتعريب العلوم عامة والفيزيقا خاصـــة، فأخـــرج عدداً وافراً من الكتب المؤلفة أو المترجمة يربو على ٣٣ كـــتاباً تـــناولت الدراســـة الجامعـــية والثقافـــية العلمية الدولية في الفيـــزيقا. ومـــن مؤلفاته باللغة العربية: أصول علم الطبيعة (٥ أجزاء)

وأســـاس علـــم الطبـــيعة (٥ أجزاء). ومن مؤلفاته بكلتا اللغتين العربية والإنجليـــزية: كـــتابا: الطبيعة التجريبية، وعلم الضوء. ومن الكتب التي قـــام بتـــرجمتها منفـــرداً أو بالاشـــتراك: الفيـــزيقا النظرية (٣ أجزاء)، والأيـــونات والإشـــعاعات المؤينة، والإلكترونات، والصوتيات، والفيزيقا الـــنووية، وأصـــوات لا تســـمع، وأشـــباه الموصلات، والذرة، والفيزيقا الذريـــة، وتجارب في الفيزيقا الذرية، والفيزيقا الذرية والنووية، وحدود العلم، وفيزيقا العصر الذرّي، والاختبار غير المتلف.

وفـــي مجـــال تحقيق التراث العلمي العربي شارك الدكتور مختار فـــي تحقـــيق كتاب "تفتيح المناظر" لكمال الدين الفارسي ٧١٠ هـ (في ثلاثة أجزاء) المأخوذ عن كتاب "المناظر" للحسن بن الهيثم.

واتجـــه نشاطه في تعريب العلوم ووضع المصطلحات العربية منذ عـــام ١٩٦٠ تقـــريباً فشـــارك أنشطة المجلس الأعلى للعلوم، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، في وضع المصطلحات العلمية.

وفـــي عـــام ١٩٦٢ انضم الدكتور مختار إلى مجمع اللغة العربية خبيـــراً للمصطلحات الفيزيقية بلجنتها لمدة ١٢ عاماً، انتخب بعدها عام ١٩٧٤ عضـــواً بالمجمع ومقرراً للجنة الفيزيقا وعضواً بلجنة الكيمياء. وبـــذل عـــناية خاصة في إخراج المعجمات العلمية المتخصصة، فأخرج مـــنها باســـم مجمـــع اللغـــة العـــربية "مصـــطلحات الفيـــزيقا النووية والإلكترونية"، و"معجم الفيزيقا الحديثة" الذي أهدى الجزء الأول للمجمع فـــي عـــيده الخمسيني، كما أخرج باسم مؤسسة الطاقة الذرية الأمريكية "مصطلحات الفيزيقا النووية".

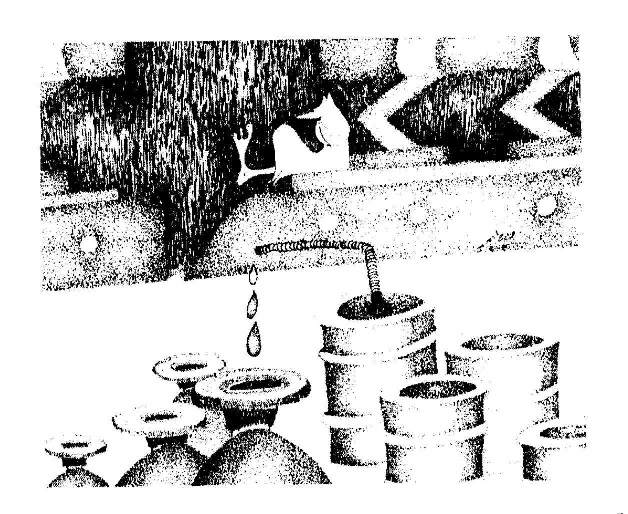
وأســـهم الدكـــتور مختار في عدد من المؤتمرات الدولية العربية

والقومـــية، ورفـــع اســـم مصر عالياً خلالها، وألقى العديد من الأحاديث الإذاعـــية والتليفزيونية والمحاضرات العامة، ومنح وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨١ تقديراً لنشاطه العلمي.

ومـــن كلماتـــه التي ألقاها في المجمع: "في الكليات العلمية اليوم لغـــة لا هي بالعربية، كما تقضي اللوائح وما يجب أن يكون عليه الأمر، ولا هـــي بالإنجليـــزية تمشـــياً مع الاستثناء الوارد باللوائح، ولكنها لغة ثنائـــية، إن جـــاز لـــنا أصلاً أن نسميها لغة، فهي لغة تخلط بين اللغتين معـــاً، ويـــا ليته خليط مفهوم، ولكنه خليط عجيب، من لغة عربية ركيكة ولغـــة إنجليـــزية أكثـــر ركاكـــة، مندمجين معاً، أو منصهرين معاً. هذه الصـــورة المضحكة المبكية لما آلت إليه اللغة العلمية اليوم في الجامعات وغيـــرها، هي في نظري ناقوس الخطر الذي أدقه للمجمع العريق؛ لكي يـــزيد جهـــوده المـــوفقة التـــي بـــدأها على الطريق السوي خدمة للعلم والتعليم وإنقاذاً للغة العلمية مما هوت إليه من حضيض".

عبد الحليم منتصر

أول عالم نبات مصري



عبد الحليم منتصر

لــو أن النيل كان يجري، بل وظل يجري، ملايين السنين في هذه الــبقعة مــن المعمورة دون أن يعيش على ضفافه وفي واديه بشر، هل كانت ستوجد مصر ؟.

أليس هناك أنهار أخرى عاش على ضفافها بشر، دون أن تصبح كمصر ؟.

لقــد ناضــل ملايين المصريين لما يزيد عن عشرة آلاف سنة مع الطبــيعة، مطوعــين إياها لإرادتهم وخلق حضارتهم التي أصبحت مركز إشــعاع للعــالم، والتي مثلت مع غيرها من الحضارات القديمة الأساس المتــين والراســخ الذي شيدت عليه الحضارة الحديثة. ومن بين هؤلاء البشــر الــذين ســاهموا فــي تشييد هذه الحضارة الحديثة، عبد الحليم منتصر.

ولــد عبد الحليم منتصر بقرية "الغوبين" مركز فارسكور بمحافظة دمــياط فــي ســنة ١٩٠٨، ثم أتم دراسته الابتدائية بمدرسة فارسكور الابتدائــية، وحصــل على شهادة الكفاءة من مدرسة المنصورة الثانوية الأميــرية، ثــم حصــل على شهادة الدراسة الثانوية من مدرسة الجيزة الــثانوية، والــتحق بكلــية العلوم بالجامعة المصرية والتي هي جامعة القاهرة الآن ليتخرج فيها سنة ١٩٣١، حاصلاً على درجة البكالوريوس فــي العلــوم، متخصصاً في علم النبات. ومتتلمذاً على يد العالم الشهير "أوليفــر". ثم حصل على درجة الماجستير سنة ١٩٣٣، وأوفد في بعثة

إلى إنجلترا وسويسرا حيث تتلمذ على يد أستاذيه "سالسبري" و"شودات" وحصل على درجة الدكتوراه سنة ١٩٣٨. وكان بذلك أول من حصل على هذه الدرجة العلمية – دكتوراه في علم النبات – من الجامعة المصرية وحين عودته تدرج في وظائف التدريس بالجامعة منذ تخرجه إلى أن عين أستاذاً للنبات بكلية العلوم بجامعة عين شمس ثم عميداً لها بعد ذلك. ثم اختارته حكومة الكويت مديرا لجامعتها المنشأة وبقي هناك حتى عاد سنة ١٩٦٤.

والدكتور عبد الحليم منتصر عالم نباتي، ضليع في اللغة العربية والأدب العربي، له نشاط متعدد النواحي، يعمل عضواً عاملاً في عدة جمعيات علمية منها: رئيس جمعية خريجي كلية العلوم، ونقيب المهن العلمية لعدة سنين، ورئيس تحرير مجلة "رسالة العلم" التي تصدرها جمعية خريجي كلية العلوم منذ يناير سنة ١٩٣٤، والأمين العام للاتحاد العلمي المصري، والأمين العام للاتحاد العلمي العربي، وعضو المجمع المصري للعلوم، ووكيل الجمعية النباتية المصرية، والأمين العام للمؤتمرات والدورات العلمية التي ينظمها الاتحاد العلمي العربي، والمشرف على المطبوعات والكتب للاتحاد العلمي العربي والمصري، وعضو جمعية البيئة النباتية البريطانية، وعضو جمعية علم البيئة النباتية الأمريكية، وعضو جمعية تقدم العلوم الأمريكية، وعضو الجمعية الدولية لعلم البيئة الصحراوية بالهند، ومحرر علمي بمجلة علم البيئة النباتية بالهند، وأستاذ مشرف لسلسلة تراث الإنسانية، وأستاذ لتدريس الفكر العلمى الإسلامي بمعهد الدراسات الإسلامية، ولتدريس العلوم عند العرب بمعهد الدراسات العربية العالمية، كما انتخب عضواً

بمجمـــع اللغة العربية سنة ١٩٥٨، ومثل مصر في كثير من المؤتمرات العلمية.

ويعـد الدكـتور منتصـر صـاحب مدرسة في بحوث علم البيئة النباتـية، ولـه في هذا المجال نحو سبعين بحثا مبتكراً نشرت كلها في المجـلات العلمـية المتخصصـة، وقـد أجـرى هذه البحوث بمفرده أو بالاشـتراك مـع تلامـيذه، وكان من مظاهر التقدير لبحوثه أن اختارته الجمعـيات العلمـية الأجنبـية عضـواً بها، كما اختارته جامعات أجنبية ممتحناً لرسائل الدكتوراه فيها.

كمـا أن بحـوث الدكتور منتصر تدور حول دراسة البيئة النباتية فـي مصـر وخاصـة الصـحراوية منها، وعلاقة النبات بالتربة والبيئة الذاتـية لكثير من النباتات، والعلاقة بين الكائنات الحية الدقيقة في التربة والنـباتات الـراقية، كمـا نشر مع أحد زملائه مؤلفاً ضخماً عن نباتات مصـر. وتخـرج علـى يديـه مئات من حملة البكالوريوس في النبات وعشـرات مـن الحاصلين على درجة الماجستير والدكتوراه. وهو رائد مـن رواد النهضـة العلمـية في العصر الحديث، وأحد قادة نشر الثقافة العلمـية باللغـة العـربية، فقد قاد دعوة موفقة لتعريب العلم، وتدريس العلـوم فـي الجامعـات باللغـة العربية، واستمر ينشر الدعوة أكثر من أربعـين عامـاً، وكان قد أنشأ جمعية أنصار اللغة العربية بكلية العلوم. وقـد نجحت هذه الدعوة وكانت المجلة التي يرأس تحريرها منذ إنشائها مدرسـة للمشـتغلين بـالعلم، ينشـرون بها نتائج قراءتهم مع ترجمة المصـطلحات العلمـية، وفـي سبيل نشر الثقافة العلمية باللغة العربية اضـطلع الدكـتور منتصـر بالإشـراف علـى نشر عدد كبير من الكتب

الســنوية أو مجمـــوعات المحاضرات والبحوث والدراسات التي تنشرها الهيـئات العلمــية المخــتلفة مما يقدر بنحو ثلاثين مجلداً. كما قام بنشر عــدد مــن الكــتب العلمــية المبســطة والمقــالات العديدة في الصحف والمجــلات، لا فــي مصر وحدها بل في كثير من البلدان العربية كذلك، مثل دمشق وبيروت والرياض والكويت، وقد نشرت له بحوث عديدة في سلســلة اقرأ، وتراث الإنسانية، والمصور، والهلال، والكتاب، والقافلة، والعربــي، ورسالة العلم، ومجلة المجمع اللغوي، مما لا يكاد يقع تحت حصــر، ومــا لــو عُنــيَ بجمعه لملأ مجلدات ضخمة. وقد تابع الدكتور منتصــر هــذا النشاط العلمي الفائق في ميادين مختلفة، فقد ألف وترجم وراجــع التــرجمة لعدد من الكتب العلمية يزيد على الثلاثين كتاباً تحمل اسمه كمؤلف أو مترجم أو مراجع ترجمة.

كمــا حصل على جائزة التفوق العلمي من وزارة التربية والتعليم ســنة ١٩٣٨ عــن كــتابه "حياة النبات"، ورشحته الهيئات العلمية لنيل جائــزة الدولــة التقديــرية للعلوم. وللدكتور منتصر جهوده العظيمة في تــرجمة المصطلحات العلمية، وقد أشرف وشارك في ترجمة ألوف منها، وهــو عضو في جميع لجان العلوم الطبيعية في مجمع اللغة العربية، من طبــيعة، ورياضـــة، وكيمــياء، وجيولوجــيا، وأحياء، وطب، فضلاً عن عضــويته في لجنة ألفاظ الحضارة، ولجنة المعجم الكبير، ولجنة تيسير الكتابة، ولجنة إحياء التراث العربي، وقد اشترك في وضع قاموس يضم نحــو خمســة وثلاثــين ألــف مصطلح، أصدرته إدارة التدريب المهني للقــوات المســلحة المصرية، كما شارك في الفحص والتقديم لعدد كبير من الكتب الفنية التي تضطلع بترجمتها وإصدارها تلك الإدارة.

وقــد نظــم الدكتور منتصر دعوة موفقة للتعريف بالعلماء العرب ونشــر أعمــالهم، وذلك بما كتب وحاضر وأذاع من عديد من الأحاديث والمقــالات والمحاضــرات في المجلات والصحف المختلفة ومن محطات الإذاعــة، وهــي دعــوة أساسها الربط بين ماضينا المشرق، وحاضرنا الــوثاب، وتجلية أعمال العلماء العرب في العلوم الطبيعية، القدامى منهم والمحدثــين، وقد تُرجم عدد كبير من أحاديثه تلك وأذيع ضمن الإذاعات المــوجهة لتعريف الأجانب والشرق بالعلماء العرب، كما شارك في وضع دليل (ببليوجرافي) لأعمال هؤلاء العلماء، فعرف بعشرات من مؤلفاتهم.

ومــن بحــوثه المبتكرة: النتح والثغور في النباتات الصحراوية، بيــئة بحيــرة المنــزلة، النــتح في النباتات، التربة المصرية ونباتاتها، التــربة والنــبات فــي مريوط، ومنسوب الماء الأرضي وأثره على نمو الجــذور فــي بعض النباتات، وبيئة الكويت ونباتاتها، وتغذية النبات في أرض غيــر مستصــلحة، والمقاومة الإحيائية لبعض الأمراض النباتية، وأثر الكائنات المجهرية في التربة على نمو النبات، وغيرها.

ومــن مؤلفاته: حياة النبات، نباتات مصر، وقادة العلم في العصر الحــديث (جــزآن)، والــوراثة والجنس، وحرب الخامات، والضائع من المــوارد العلمــية فــي الــبلاد العربية، ونباتات الكاكتس، وأصول علم النبات، وصحاري مصر وأسس علم النبات.

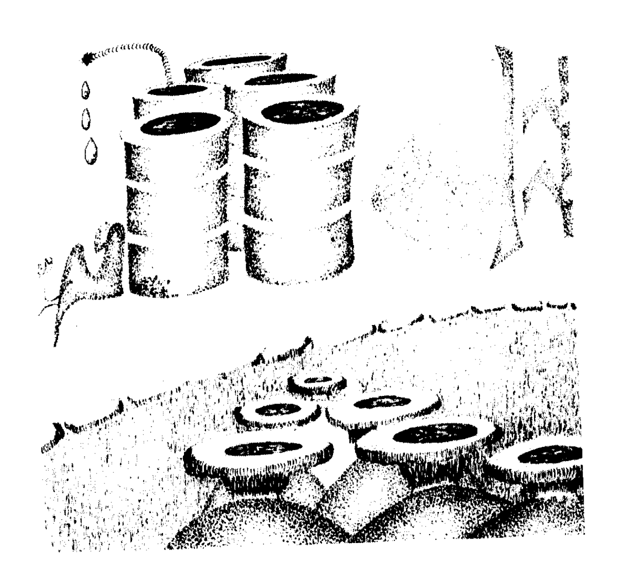
ومــن تــرجماته أيضاً: العلم في حياتنا اليومية (جزآن)، وتاريخ العلــم عــند العــرب، وفجــر الحــياة، والعلم الإغريقي، والعلم وأصل الكائــنات، والكشــف والفــتح، والعلم والإنسان الحديث، وتحقيق كتاب الشــفاء لابــن ســينا، والحياة على مر العصور وتشريح النبات، وبيئة

النـــبات، وأصـــل الأنواع (جزآن)، والعالم المصنوع من حولنا، والجنس البشري.

هــذا مـــا كـــان مـــن الدكتور عبد الحليم منتصر أول عالم نبات مصـــري في العصر الحديث ساهم بما ساهم في الحياة العلمية، كما كان غـــيوراً علـــى اللغة العربية، سعى سعياً متواصلاً في أن تكون هذه اللغة هي اللغة التي تدرس بها العلوم في الجامعات.

الحاجري

محقق الجاحظ والجزائري
ومؤرخ العصر العباسي



الحاجري

قد يكون الفرق بينه وبين كثير من أنداده، هو ذلك الفرق الذي عبرت عنه قصة الراهبين: أحدهما من الدومنيكان والثاني من الجزويت. والتي تحكي أنهما حينما كانا في الدير، وحينما أرادا التدخين في أثناء نزهة لهما، كان عليهما أن يسألا الرئيس الإذن بذلك، ذهب كل منهما بمفرده ثم عادا، فوجد راهب الدومنيكان زميله راهب الجزويت يدخن، فدهش، وسأله السر الذي جعل الرئيس يأذن له، فيما رفض طلبه، فسأل الجزوتي زميله: ماذا طلبت من الرئيس؟ فقال الدومنيكاني: طلبت أن يؤذن لي أن أدخن وأنا أذكر الله ! هنا افترّ فم الجزوتي عن ابتسامه وهو ينفخ في وجه الآخر: وقال أما أنا فقد طلبت أن يؤذن لي أن أذكر الله وأنا أدخن!!.

وقد كان يسأل ويسأل ولا يقحم الإيمان بذكر الله، فقد كان يهتم في شبابه المبكر بالحرية ثم أصبح بعد حين يهتم بالنظام، وفيما بعد توصل إلى أعظم فلسفة وهي أن الحرية من منتجات النظام.

على هذا عاش محمد طه الحاجري، الذي نشأ كما ينشأ أترابه في إحدى بلدان الصعيد الأدنى، يذهب إلى إحدى المدارس الأولية لحفظ القرآن الكريم، بينما عَيْن أبيه العالم الأزهري الجليل ترعاه وتتعهده، وحينما أتم حفظ القرآن الكريم سريعاً، رأى والده أن يرسل به في سنة ١٩٢٠ – بعد بلوغه الثانية عشرة من عمره – إلى الأزهر الشريف فخالط طلابه واستمع إلى شيوخه، وعاد إلى بلدته في صيف السنة

التالــية ســعيداً بما تلقى من علوم وبما رأى في القاهرة من نشاط أدبي وسياســي، وكانت بالبلدة مكتبة لسوداني تتحول في وقت الأصيل إلى ما يشــبه ندوة صغيرة، وكان والده كثيراً ما يصطحبه إلى هذه الندوة، فكان يســتمع إلــى مــا يدور فيها من أحاديث أدبية ويطلع على بعض ما في المكتــبة مــن كتب ومجلات، وحينما رأى بها مجلة "الوجديات" التي كان يحــررها الأســتاذ محمد فريد وجدي، وتصفحها، أعجبته، وأخذ يلتمس أعــدادها، حتــى إذا رجــع إلى القاهرة وعرف أن الأستاذ وجدي ينشر دائــرة معــارف شــهرية اشترك في أجزائها، واقتنى كتابه "على أطلال المــذهب المادي"، وظل متأثراً بنزعته الإصلاحية، الدينية والاجتماعية، وهــو فــي أثــناء ذلــك يعكــف في الأزهر على الدرس، والتحق حينئذ بمدرسة لتعلم اللغة الفرنسية ونال ثانوية الأزهر سنة ١٩٢٩.

تلــك هــي نشــأة الفتى الدؤوب على الدرس المشغوف بالقراءة، محمــد طــه الحاجــري، والــذي رغب أن يتم دراسته في كلية الآداب بجامعــة القاهرة، فالتحق فيها بقسم اللغة العربية، الذي ضمّ صفوة من الأعــلام أمثال: طه حسين وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام، فعكف على الدراســة والتلقي عنهم، وكانوا يكتبون في مجلة الرسالة، فطمحت نفسه إلــى الكتابة فيها، وظهرت له فيها بعض مقالات جعلت زملاءه يرمقونه بإعجــاب، ونــال الليسانس سنة ١٩٣٦ فرأى القسم أن يحتفظ به طالب بحث.

ولــم يلــبث محمــد طه الحاجري أن يختار عملاً فيه من المشقة والعــناء الكثيــر، ألا وهو تحقيق كتاب البخلاء للجاحظ، وكان قد نشره "فــان فلــوتن" مــن مخطــوطة بإحــدى مكتبات الأستانة، نشرة مليئة

بالأخطـــاء، فجلـــس عليه يحققه، ووجد له مخطوطة أخرى كان له فيها بعـــض العون، واستعان بمصادر تضمنت مقتبسات ونصوصاً من الكتب، وبمصــــادر كثيرة في تخريج الآثار والشواهد المبثوثة فيه، ومضى يحل مشاكله ويوضح مقاصده متخذاً لذلك كل وسيلة علمية ممكنة، على نحو مـــا يتضـــح مـــن تعلـــيقاته على نصوصه، وقد تناول في مائة وتسعين صـــفحة مـــا جـــاء فـــي الكـــتاب من ألوان الحياة والحضارة في الحقب العباســـية، مـــع وضـــع الفهارس التفصيلية. وبذلك أصبح كتاب البخلاء مـــذللاً ميســـراً للأدبـــاء والباحثـــين. وكـــان قد اتخذ هذا العمل لرسالة الماجستير، فأعجبت به اللجنة التي شكلت لمناقشته إعجاباً شديداً وعين معيداً بقسم اللغة العربية بالكلية.

كـــان أحـــد أعضـــاء هذه اللجنة مستشرقاً يدرس في قسم اللغة العـــربية هو "بول كراوس" وقد أعجب بالحاجري، وكان يعجب بالجاحظ وأدبه، فعرض على الحاجري فكرة تحقيق رسائل الجاحظ التي لم تنشر، يشـــاركه العمـــل فـــيها وفي تحقيق نصوصها، واستجاب له الحاجري، وحققـــا معـــاً أربع رسائل ونشراها سنة ١٩٤٣، وأعاد الحاجري نشرها فـــيما بعد مضيفاً إليها بعض رسائل ونصوص للجاحظ لم يسبق نشرها، وقـــدم لها جميعاً بمقدمات تحللها وتوضح ملابساتها وتضعها في مكانها من حياة الجاحظ وعصره.

انتقل الحاجري في سنة ١٩٤٢ إلى جامعة الإسكندرية، وظل بها طـــوال حياته الجامعية، وبذلك كان أحد مؤسسي قسم اللغة العربية بها. وجعلـــته صلته بالجاحظ يختاره موضوعاً لرسالة الدكتوراه، وأكبَّ على دراســـة بيـــئة البصـــرة، مسقط رأسه، وصور الحياة فيها وخصائصها

العقلية، وما كان بها من خصومات علمية، وخاصة بين المتكلمين، وفي مقدمـــتهم المعتـــزلة، ودرس حـــياة الجاحظ في أسرته، ومولده ونشأته وثقافـــته ومذهـــبه الاعتزالي، واتجاهه إلى التأليف ورحلاته إلى بغداد، وأرخ لمـــؤلفاته ورسائله تأريخاً علمياً، وكان من ثمرات ذلك كتابه القيم "الجاحظ: حياته وآثاره".

وعني بإخراج كتابه في سلسلة اقرأ عن قصر الرشيد، صور فيه مـــا كان بالقصر من نشاط سياسي واجتماعي وأدبي، كما ألف في تاريخ الـــنقد العربـــي كتاباً تحدث فيه عن بواكير هذا النقد في العصر الأموي ببيـــئات الحجـــاز والعراق والشام، كما كتب عن "بشار بن برد" الشاعر العباســـي المشـــهور كـــتاباً فـــي سلسلة نوابغ الفكر العربي، صور فيه عصـــره وحـــياته وشخصـــيته وخصائصه الفنية، مع طائفة مختارة من أشعاره الجيدة في أغراض مختلفة.

وفـــي ســـنة ١٩٥٦ أعارتـــه كلية الآداب بجامعة الإسكندرية إلى جامعـــة ليبـــيا الناشـــيءة، وظل بها إلى سنة ١٩٦٠، فساعد في إنشاء قســـم اللغـــة العـــربية بها وتأسيس الدراسات العربية فيها، وأتاحت له ســـنوات هـــذه الإعـــارة فرصـــة لتعرف الحياة الأدبية في بلدان المغرب المخـــتلفة، مما هيأ له فيما بعد أن يكتب عن هذه الحياة طائفة من الكتب كـــان أولهـــا كـــتاب نشر فيه محاضراته عن الحياة الأدبية بليبيا، وأعاد نشـــره فيما بعد مضيفاً إليه حديثاً عن المغرب العربي في القرون الثلاثة الأولى، وفي العصر الحديث، مسمياً له باسم "دراسات وصور من تاريخ الحـــياة الأدبـــية في المغرب العربي"، كان ذلك سنة ١٩٦٢، وأعير سنة ١٩٦٤ إلـــى جامعـــة بغـــداد لمـــدة عامين، وعاد رئيساً لقسمه، وزاول

بحوثه في الأدب المغربي، ولم يلبث أن ألقى في سنة ١٩٦٨ على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية محاضرات عن الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، نشرها وقد صور فيها تلك الحياة منذ ابتدائها في التاريخ الحديث، مع دراسة تفصيلية عن الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه وشاعريته وكتاباته العلمية، وآثاره الصوفية شعراً ونثراً، وآثاره الديوانية، وكذلك عن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأعلامها وإنشاءاتها ومناهضتها للاستعمار الفرنسي.

ومن المقرر أن بدء ما يدل على اتصال الدكتور الحاجري بالحياة الأندلسية هو كتابه عن "ابن حزم" الذي نشرته دار الفكر العربي قبل رحلته الأولى إلى ليبيا بزمن.

وأحيل الدكتور الحاجري إلى التقاعد، ووفاء للأستاذ "محمد فريد وجدي" أستاذه الروحي في شبابه، ألقى عنه محاضرات في معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧٠ جمعها في كتاب ضمّنه رسم حياته إلى أن بلغ الحادية والثلاثين من عمره، مع بيان مؤلفاته واشتغاله بالصحافة حتى هذا التاريخ. وعاد إلى بحوثه في الأدب المغربي، وعكف على دراسة "ابن خلدون" ونشر عنه كتاباً قيماً باسم "ابن خلدون بين حياة العلم والسياسة" أوضح فيه مراحل حياته في البيئات المختلفة التي اختلط بحكامها وأهلها من الأندلس إلى الشام ومصر، مع بيان مفصل للحياة العقلية في تلك البيئات. ويخص "الآبلي" أستاذ ابن خلدون في الكتاب بترجمة دقيقة. وكان قد زار تونس في سنة ١٩٥٦ فرأى أن يخص أديبها "ابن شرف القيرواني" بدراسة نشرها سنة ١٩٨٣ توضح مراحل حياته في موطنه وفي صقلية وفي

الأندلس مع مختارات من شعره ونثره. وفي سنة ١٩٨٣ نشر كتاباً عن مـــرحلة التشـــيع فـــي المغـــرب وأثرها في الحياة الأدبية هناك منذ قيام الدولــــة الفاطمـــية قبل انتقالها من أفريقيا إلى مصر، مع بيان دور "ابن هانئ" في هذا الانتقال.

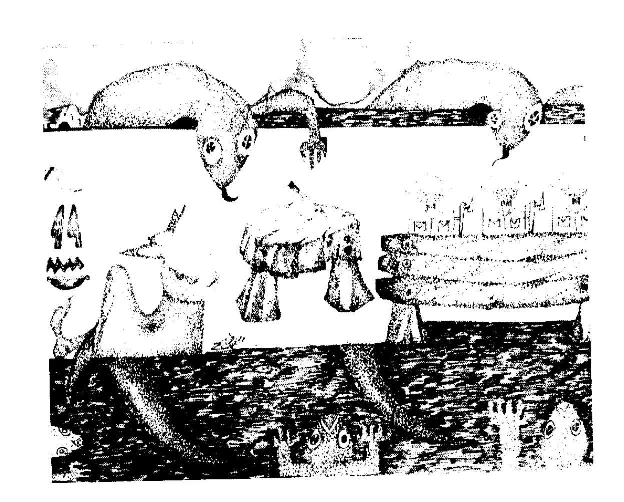
وللدكـــتور الحاجـــري – بجانب هذا الإنتاج الغزير في التأليف – مقـــالات كثيـــرة نشرها في مجلة الآداب بجامعة الإسكندرية وفي مجلات مخـــتلفة بمصـــر والعـــالم العربـــي، ولا يكاد يخلو عدد من أعداد مجلة الثقافة في سنواتها الأخيرة في الستينيات والسبعينيات من مقال له.

انضـــم الدكـــتور الحاجري إلى مجمع اللغة العربية في الثاني من مايـــو ســـنة ١٩٨٤ وقد اختار الاشتراك في لجنة المعجم الكبير ولجنة الجيولوجـــيا، شـــاغلاً للكرســـي الـــذى خلا بوفاة المرحوم الأستاذ علي النجدي ناصف.

وبهـــذا جمع الدكتور الحاجري في حياته التوازن الظاهر والتعادل الكـــامن بـــين إرهـــاف حاسة الفن ودقة نظرة العلم، بين الحرص على المنصـــب الـــرفيع والتمســـك بالخلق الأرفع، بين قوة العزيمة وشكيمة الـــزهد، بـــين المعـــارف الواســـعة، والصداقة القوية، بين عمل الأشياء الصغيرة بإتقان، وعمل الأشياء الصعبة بسهولة.

حمد الجاسر

العارف بمعالم الجزيرة



فكــرة أن كل إنسان لا بد أن يموت، تزعجني، سأرحل للبحث عن بـــلاد لا يموت فيها أحد، هذا ما فكر فيه شاب في أحد الأيام، ودّع أقاربه ورحـــل، سار أياماً وشهوراً بل وسنين في دروب الجزيرة العربية يسأل كـــل مـــن يقابله أن يرشده إلى بلاد لا يموت فيها أحد، لكن أحداً لم يكن يعـــرف بـــلاداً كهذه. وذات يوم التقى برجل عجوز، لحيته تغطي صدره، يدفـــع عـــربة يد مملوءة بقطع من الصخور، قال له العجوز: لا تريد أن تمـــوت قـــبل ثلاثمائة سنة ؟ فقال له الشاب: لا .. لا .. هذا المكان ليس لـــي، لا بـــد أن أذهب إلى مكان لا يموت فيه أحد أبداً، واستأنف رحلته، وقادتـــه قـــدماه ذات يـــوم إلى قصر فخم، دق الباب، ففتحه رجل عجوز تتدلـــى لحيـــته حتى قدميه، قال الرجل العجوز: ما الذي تبحث عنه أيها الشـــاب؟ قال له: أبحث عن مكان لا يموت فيه الإنسان أبداً. قال الشيخ: لقـــد وجدتـــه، عـــاش الشاب مع العجوز، ومرت السنون بسرعة، وذات يـــوم قال الشاب للرجل العجوز: لا يوجد مكان في العالم مثل هذا المكان، لكننـــي أرغـــب فـــي زيـــارة عائلتـــي زيارة قصيرة؛ لأرى كيف سارت أحـــوالهم، قـــال لـــه الشـــيخ: إذا كـــنت عازماً على الذهاب، اذهب إلى الإصـــطبل وأحضـــر الحصـــان الأبـــيض الذي يعدو كالريح، ولكن ما إن تـــركبه فإن عليك ألا تترجل عنه لأي سبب وإلا فإنك ستموت في مكانك. مَـــرَّ بالأمـــاكن التي مر عليها في رحلة ذهابه، وسار حتى وصل أخيراً إلـــى بلدته ولكنها كانت قد تغيرت كثيراً حتى إنه لم يعرفها، أدار وجهه

وبـدأ رحلة العودة، وفي منتصف الطريق تقريباً وجد أمامه عربة يجرها ثـور، محملـة بأحذيـة قديمة قال صاحب العربة يا سيدي .. كن كريماً وتـرجل عـن حصـانك لحظـة لتساعدني في زحزحة هذه العجلة التي غـرزت فـي الرمال، أشفق على الرجل وفكر: ماذا لو نزل لحظة؟ كانت إحـدى قدمـيه على الأرض والأخرى ما زالت في الركاب، حينما قبض صـاحب العربة على ذراعه بقوة قائلاً: وأخيراً أمسكت بك .. أتعرف من أنـا؟ أنـا الموت، أترى كل هذه الأحذية القديمة في العربة؟ إنها الأحذية التـي أبليـتها بحثاً عنك، والآن وقعت في يدي التي لم يفلت منها أحد، فـي نفس اليوم المحدد لك .. وفي نفس المكان المقيد لك، إلا أنك سوف تتـرك أثـراً في التاريخ. كان هذا الشاب هو حمد الجاسر، وكان شيخه الـذي عايشه داخل قصر المعرفة هو سعد بن أحمد بن عتيق أحد علماء الـرياض المعـروفين، وكـان الحصـان الأبيض هو مجلة اليمامة التي تحولت بعد عامين إلى جريدة اليمامة.

ولـد الشيخ حمد بن جاسر في قرية (البرود) من إقليم (السر) في الجزيرة العربية سنة ١٩١٢ ونسبته إلى عشيرة (الشبول).

حفـظ القرآن وهو في سن صغيرة، ثم سافر مع والده الذي كان فلاحـاً يشتغل بالزراعة، إلى الرياض لطلب العلم، فقرأ بعض المتون كما هـي عـادة الطلاب المبتدئين يومئذ، ودرس النحو والتوحيد على الشيخ سـعد بـن أحمـد بـن عتـيق، أحـد علماء الرياض المعروفين بالعلم والمعـرفة. ثـم عـاد إلى قريته بعد وفاة والده، وبقي فيها يعلم القرآن حتـى رحـل إلى مكة ملتحقاً بالمعهد السعودي (قسم التخصص الديني). وبعـد إتمـام دراسـته عـين مدرساً فمديراً لمدرسة (ينبع)، ثم قاضياً

لـــ (ضــبة) ونواحــيها، ثــم ترك القضاء بعد أكثر من عام وعاد إلى المعارف معاوناً لمعتمد المعارف (أي مدير التعليم) في جدة.

وفـــي ســنة ١٩٤٠ وفد الشيخ حمد إلى مصر فانتسب إلى كلية الآداب بجامعــة (فــؤاد الأول) القاهــرة، ثــم عاد إلى مكة حيث اشتغل بالتعليم والإحصاء وإعداد البعثات.

وترقــى فـــي المناصب المختلفة حتى عين مديراً للتعليم في نجد، ثم مديراً لكليتي اللغة العربية والعلوم الشرعية.

أســس الشـــيخ حمد الجاسر صحيفة (اليمامة) وهي أول صحيفة في نجد، صدرت مجلة لمدة سنتين، ثم صدرت صحيفة بعد ذلك.

كمـــا أنـــه أول من عمل على إنشاء دار الطباعة في الرياض وله بحـــوث كثيـــرة أشهرها: معجم البلاد العربية، وهو معجم يحدد الأماكن والمـــدن والقـــرى والأودية والجبال في الجزيرة العربية، وله أيضاً بحث عن أمراء نجد، ومن بين أبحاثه بحث عن معادن نجد.

والأســـتاذ حمـــد الجاسر عضو بالمجمع العلمي العربي، وانتخب عضـــواً بمجمـــع اللغــة العربية سنة ١٩٥٨ في المكان الذي خلا بوفاة المـــرحوم الشـــيخ عبد الوهاب خلاف، وقد قال عنه الدكتور عبد الوهاب عـــزام وهو يستقبله عضواً بالمجمع: الأستاذ المحتفل به عالم ثبت خبير بمواضـــع الجزيـــرة العـــربية ومعالمهـــا، وســـيجد الأدباء والمؤرخون والجغـــرافيون غناء وفائدة من نشر كتبه. وحقّاً لقد أفاد الأستاذ الجاسر المجمـــع كثيـــراً بتحقيقه لكثير من أماكن الجزيرة العربية، وكانت لجنة المعجـــم علـــى صـــلة دائمـــة به تستشيره في كثير من أماكن الجزيرة العربية فيوافيها بالجواب الشافي.

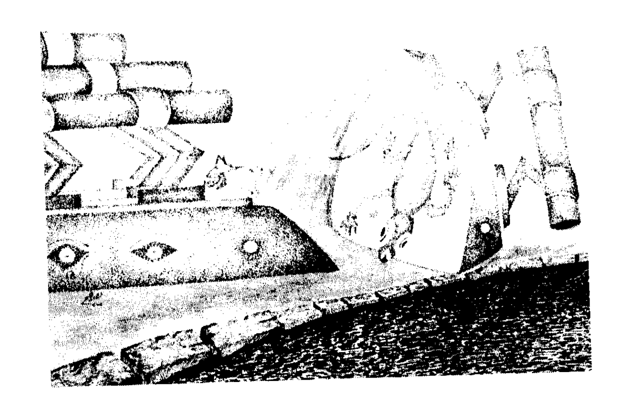
وقد ساهم الأستاذ حمد الجاسر في أعمال المؤتمر، وكان المجمع يعـول علـيه تعـويلاً كبيراً في تحقيق أسماء البلدان والأماكن بالجزيرة العـربية، وبالأنسـاب حـيث كانت تفوق درايته بها دراية أي عالم في المملكـة، ولـذلك كـان دائم المساهمة في أعمال المجمع بصفة دورية، ومـن بحـوثه التـي قـدمها للمجمع "نظرات في كتابة الأمكنة والمياه والجـبال والآثـار ونحـوها" المذكورة في الأحياء والأشعار لأبي الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندري.

كمـا كـان للأسـتاذ حمد الجاسر، في كل مؤتمر، جولة فاحصة علمـية فـي المجلد الذي تعده لجنة المعجم الكبير لعرضه على المؤتمر، ويبدي ملاحظاته القيّمة بعد أن يكون قد قرأ كل كلمة فيه.

وقـد تـوج هـذا الجهد من العمل الجهيد على مدار سنين عمره بحصـوله علـى جائـزة الملك فيصل العالمية، وقد اعتبر الجهاز الفني الخـاص بمـنح هذه الجائزة في المملكة العربية السعودية الأستاذ حمد الجاسر ركناً ركيناً من رجال اللغة والأدب في العالم العربي.

فؤاد فخر الدين

طفل شق طريقه إلى الثورة



فؤاد فخر الدين

كـــان مـــا يزال طفلاً في العاشرة من عمره، لكنه كان يدرك تماماً طبـيعة الأشياء، عبر جبال بلاده في الظلام ناحية الغرب، واستمر يمشي علـــى قدمـــيه الصغيرتين حتى وصل أرض الحجاز، كان ذلك قبل موسم الحـــج بقلـــيل، حـــج، وطاف، وزار، وبسمل، ثم استمر في المسير عبر جـــبال أخـــرى، ورمال أخرى، استمرت الرمال تحمل على ملامسها آثار أقدامــــه حتـــى وصل إلى آخر نقطة من نقاط الحدود، اقتاده العسكر حتى دخلـــوا بـــه القاهـــرة، لـــم تكـــن القاهرة هدفاً في حد ذاتها إنما وسيلة للوصـــول إلـــى الأزهر، ذلك الذي كان قابعاً في شموخه ومحاطاً بسنابك الاستعمار.

كـــان هذا الطفل هو فؤاد فخر الدين الذي ولد في سنة ١٩١٨ في ســـومطرا الغـــربية بإندونيسيا. التحق بالمدرسة الابتدائية وهي مدرسة أهلـــية تضـــارع المدارس الحكومية الهولندية ولكن الدين كان مادة من مـــوادها الدراســـية. فـــي سنة ١٩٢٨ غادر وطنه إلى القاهرة ولم يكن يعـــرف مـــن اللغة العربية إلا الخط العربي الذي تعلمه في مدرسته، تعلم اللغـــة العـــربية في مدرسة الدواوية في الخليج المصري، وبعد ذلك أعد نفســـه للالتحاق بالأزهر الشريف لما له من سمعة طيبة وجهاد إسلامي معـــروف. مـــنع الاستعمار الهولندي الإندونيسيين من الالتحاق بالأزهر خـــوفاً مـــن أثره البالغ الخطورة في الحركة الوطنية الإندونيسية، فكان الإندونيســـيون يتحايلون على ذلك بالذهاب إلى الأراضي الحجازية لأداء

فريضـــة الحـــج ومنها إلى مصر عن طريق الصحراء سيراً على الأقدام شهوراً أو أعواماً حتى يصلوا إلى الحدود لتقبض عليهم شرطة الحدود، لكـــن جمعيـــتهم الموجـــودة في مصر تضمن بقاءهم فيها حتى الالتحاق بالأزهـــر، وإذا التحق أحدهم بالأزهر جاوز كل الموانع وأصبح في حماية هذا الأثر الإسلامي الكبير.

الـــتحق فـــؤاد فخر الدين بالأزهر من المرحلة الابتدائية، كان ذلك بخـــلاف بقية الأجانب؛ إذ لا يستطيعون الانتساب إلى تلك المراحل الأولية أولاً لصـــعوبتها، وثانياً لاحتياجها إلى مدة طويلة حتى تنتهي، حيث يأتي هـــؤلاء الأجانب وهم في سن تجاوز التعليم الابتدائي. ثم تخرج من كلية اللغـــة العـــربية فـــي عام ١٩٤٥ واعتبر أول إندونيسي تخرج من هذه الكلية ماراً بمراحل التعليم من بدايتها إلى نهايتها.

انضـــم فؤاد فخر الدين سنة ١٩٣٦ إلى الجمعية الخيرية الجاوية عضـــواً عاملاً، والجاوية هي تلك الكلمة التي استعملت في البلاد العربية لتعـــريف مـــناطق الشرق الأقصى أو بلاد جنوب شرق آسيا الآن بما في ذلـــك الماليـــين، والتايلنديين وغيرهم من البلاد المجاورة. أما في الواقع فكلمـــة جـــاوه تطلـــق علـــى جزيرة من جزر إندونيسيا كانت هي مركز الحكـــومة الهولندية كما كانت مركزاً للمدارس العليا، ومن الأسف الشديد أن كلمة جاوي في اللغة الإندونيسية تعني البقرة.

كـــان أول لطالب قد حضر إلى مصر طلباً للعلم هو الشيخ إبراهيم المينكـــبوي، وكان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى، وهو الذي فتح رواق جاوي وقد بلغ في سنة ١٩٤٠ عدد طلاب إندونيسيا ١٥٠ طالباً وزعوا أنفســـهم على معاهد مختلفة رغم أن حضورهم إلى مصر في بداية الأمر

للالـــتحاق بالأزهر. وكانت في تلك الفترة لا تعرف المنح الدراسية، لكن الأزهـــر كـــان يمنح طلابه "الجراية" والجراية عبارة عن تقاضي الطالب قرشا واحداً عن كل يوم دراسي يحضره الطالب.

شـــارك فـــؤاد فخـــر الـــدين بحكم وجوده في الفترة الساخنة من مناهضـــته الاستعمار في الحركة الوطنية وكل الحركات الإسلامية العربية مـــنها وغير العربية، فقد شارك في الحركة التونسية مع الحبيب بورقيبه ورشـــيد إدريس وغيرهما، كما كان على علاقة بحركة المغرب مع الأمير عـــبد الكـــريم الخطابي وعلال الفاسي وعبد الخالق موريس، وأيضاً مع الجزائـــريين مـــن خـــلال الشـــاذلي المكي، ومع الليبيين من خلال الملك إدريـــس السنوســـي والذي كان بالقاهرة آن ذاك وله جيشه الذي يحارب مـــع الحلفـــاء لاستقلال بلاده من الاستعمار الإيطالي المعروف بقساوته، وكـــذلك مع السعودية في قضية واحة البوريمي، وكذلك مع دول الخليج في قضاياهم الوطنية.

أمـــا داخـــل مصر التي كان يعيش فيها ويعايشها فؤاد فخر الدين والتـــي أيضاً تزوج منها، فقد اشترك مع الجمعيات الإسلامية مثل الشبان المســـلمين والإخـــوان المســـلمين وجمعية زينب الغزالي وجمعية شباب محمـــد، ومع الأحزاب السياسية مثل الوفد والأحرار الدستوريين ومصر الفـــتاة والسعديين وغير ذلك حتى ضمن أن تبقى قضية بلاده في أذهان كـــل هؤلاء. ومن أهم الأمور في هذه الناحية أنه حينما قطعت القنصلية الهولـــندية مســـاعداتها الشهرية للطلبة الإندونيسيين إلا من يوقع على إيصـــال تســـلم يتضمن أنه من رعايا الحكومة الهندية الهولندية، امتنع الطـــلاب فقامت الحكومة المصرية بصرف نصف تلك المبالغ شهرياً حتى

استقلال بلادهم سنة ١٩٤٥.

تلقت جمعية استقلال إندونيسيا مساعدات من زعماء البلاد ورؤساء الأحزاب، بل كونوا لجنة استشارية من قادة مصر منهم: محمد صالح حرب باشا، وأحمد حسن، ومحمد صلاح الدين، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز وغيرهم، وقاموا بتقديم النصائح والمشورة والأفكار والنصائح للجمعية من خلال فؤاد فخر الدين الذي كان يعمل كهمزة الوصل بين البلدين. كان ذلك بالطبع لإنجاح القضية الوطنية وإعطاء طريق للعمل الدبلوماسي في هذا المجال.

ولقد تعاونت مع هذه الجمعية الوطنية جامعة الدول العربية من اعتراف باستقلال إندونيسيا وإرسال مبعوث خاص من طرف الجامعة وهو المرحوم الدكتور محمد عبد المنعم القنصل العام المصري في بومباي بالهند لتسليم هذا الاعتراف مباشرة إلى الحكومة الإندونيسية "بجاكارتا"، ثم تلا هذا إرسال جمعية الهلال الأحمر المصرية ثلاثة أطباء لمعالجة المجاهدين في الصفوف الأمامية وحملوا معهم الأدوية الضرورية لذلك.

أرسلت الجمعية الوطنية الإندونيسية فؤاد فخر الدين إلى السعودية في موسم الحج للقيام بجمع صفوف المقيمين من أبنائها هناك والذي كان يبلغ عددهم في تلك الآونة ثلاثة آلاف مقيم، وعلى ذلك استطاع مقابلة المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود وألقى خطبة أمامه طالباً فيها مساعدة إندونيسيا لاستقلالها، وإعطاء الفرصة للمقيمين أن يتحركوا في المجال الوطني لتأييد القضية الوطنية، علماً بأن التبادل السياسي بين الهولنديين والسعوديين كان قائماً في ذلك

الـوقت، رغـم ذلـك استجاب جلالة الملك لطلب فؤاد فخر الدين وسمح للمقيمـين أن يتحركوا في قضية بلادهم الوطنية، وكان في موسم الحج كثيـر من الزعماء المسلمين والعرب مثل الحبيب بورقيبة، والإمام حسن البـنا، وسـعيد رمضـان وغيـرهم حيث تم اللقاء بينه وبين العديد من الزعماء وتم الحوار حول هذه القضية.

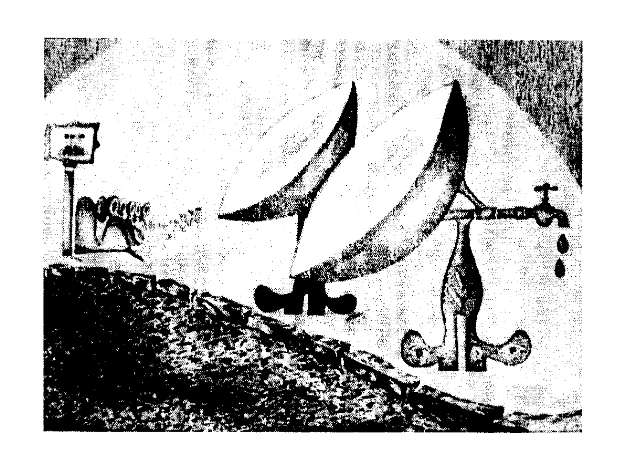
اسـتطاع فؤاد فخر الدين أن يحرك الأزهر في اتجاه قضية بلاده، فأصـدر الأزهـر فتوى بحرمة الحج للإندونيسيين الذين تحملهم هولندا لأداء الفريضـة مجانـاً، ممـا عطـل التواصل بين الاستعمار والشعب لاستغلال العلاقة الدينية.

كمـا أرسـلت الجمعـية الوطنـية فـؤاد فخر الدين لإثارة عمال الموانـي في بورسعيد والسويس لقطع تموين البواخر الحربية الهولندية الذاهـبة إلـى إندونيسـيا لمحاربـة الوطنيين، وقد استجاب العمال لهذا الـنداء الـذي تم من خلال نقابة العمال، وتم إعطاء صورة عن الحركة وأنهـا ذات صلة بالإسلام وبمصر، وأن الاستعمار لا يختلف من أي بلد من البلاد عن أخرياتها.

كـان ذلـك لأنـه أحسن من يجيد اللغة العربية ولصلته الحميمة والواسـعة بـزعماء مصـر ورجالها، حيث نشط فؤاد فخر الدين بإلقاء المحاضـرات وكـتابة المقـالات حتـى إنه هدد في ذات مرة من محافظ القاهـرة بإيحـاء مـن القنصلية الهولندية بإيقاف كل تحركاته السياسية وإلا الطـرد خـارج البلاد، كان ذلك يعني الحبس أو النفي، إلا أن رجل المخابـرات المصري "عابدين مختار" الذي كان أزهرياً حاول دائماً إخفاء كل تحركات فؤاد فخر الدين السياسية.

ناصر الدين الأسد

أدرك الجمال في الشعر



ناصر الدين الأسد

إن الـناس ليسوا على خط سواء في إدراك الجمال ومبلغ إصابة اللـذة منه، والواقع أنهم في هذا متفاوتون كل التفاوت؛ فمنهم من يسَّر بـه إلـى حـد الافتتان والانبهار، ومنهم من يُسفَّ إلى حد جمود الحس وصـمم الشعور، وبين هذين الحدين مراتب بعضها فوق بعض. وليست نعمـة الشـعور بالجمـال مقصـورة علـى إصابة اللذة وتنعيم النفس واسـتراحتها مـن العناء، وتفريجها من ألوان الهموم، بل إن لها وراء ذلـك أثـراً بعـيداً فـي تـرقيق الحس، وتهذيب النفس، والمطامنة من جماحهـا، ورياضتها على العطف والرحمة وحب الخير، كما أن لها أثراً بعـيداً فـي تهـذيب المدارك وتعويدها دقة الملاحظة، وشدة التفطن لما يشـقّ علـى كثيـر من الناس، ومن بين هؤلاء الناس كان ناصر الدين الأسـد، الـذي اختار جمال الشعر مبكراً، إلى حد الافتتان والانبهار به، فيقول في "كتابه مصادر الشعر الجاهلي": صلتي بالشعر الجاهلي قديمة، تـرجع إلـى أكثر من عشرين سنة – كان هذا الكلام في سنة ١٩٥٥ – أيـام كنا نُحفَّظ المعلقات. فاستهوتني كما لم يستهوني سائر الشعر الذي كـنا نحفظـه، ثم تدرجت في مراحل الدراسة وزاد محفوظي من الشعر العربـي على اختلاف عصوره، ولكن استهواء الشعر الجاهلي كان يزداد حتـى ليطغـى علـى غيـره. وكان شعوراً ساذجاً غير معلل، وما كنت أستطيع تعليله ولو أردت.

ثـم قـرأت – قبـيل دخولي الجامعة – كتاب الأستاذ الدكتور طه

حسين "في الشعر الجاهلي" ففتح أمامي آفاقاً فسيحة من التفكير، ودفعني إلى أن أنظر في هذا الشعر نظر المتسائل عن قيمته وصحته، وحملني على أن أستقصي الموضوع من جذوره، وأتتبعه من جميع أطرافه.

وصرت – كلما قطعت شوطاً في دراستي الجامعية – أستبين جوانب جديدة من قيمة العصر الجاهلي وشعره، وخطرهما في دراسة الأدب العربي في عصوره الإسلامية. فالعصر الجاهلي – في حساب الزمن أول عصور التاريخ العربي، ونحن لا نستطيع أن نعرف قومنا في مراحل تطورهم، ومواطن انتشارهم، إذا لم نعرفهم في موطنهم الأصيل وفي عصرهم الأول. ثم إن الشعر الجاهلي هو الأصل الذي انبثق منه الشعر العربي في سائر عصوره، وهو الذي أرسى عمود الشعر، وثبت نظام القصيدة، وصاغ المعجم الشعري العربي عامة، ولست أفهم كيف نستطيع أن نحكم على ما في شعر العصور الإسلامية من تطور وتجديد إذا لم نصرْ من أمر الشعر الجاهلي إلى مفصل نطمئن عنده. ثم إن في هذا الشعر الجاهلي وفرة من القيم الفنية الأصيلة لم يحظ بها كثير من الشعر العربي بعده: ففيه من خصب الشعور، ودقة الحس، وصدق الفن، وصفاء التعبير، وأصالة الطبع، وقوة الحياة، ما يجعله أصفى تعبيراً عن نفس العرب، وأصدق مصدراً لدراسة حياته وحياة قومه من حوله.

من أجل هذا كله عزمت، حين أنهيت دراستي الجامعية الأولى، على مواصلة بحث الشعر الجاهلي ودراسته. فقضيت أربع سنوات أبحث، فيها بعض هذا الشعر، وبعض ما كتبه القدماء والمحدثون عنه

وعــن العصر الجاهلي عامة، وخرجت من هذه الدراسة برسالتي الأولى لدرجــة (الماجســتير) عــن "القيان وأثرها في الشعر العربي في العصر الجاهلــي". ومع ما بذلت من جهد، وأنفقت من وقت، وحققه البحث من نــتائج، فقــد كنت أحس أنني أسير في طريق لا أكاد أستبين فيه مواطئ قدمــي، وأن علــيّ أن أعود أدراجي، ثم أبدأ بداية جديدة لا أخطو فيها خطوة إلا بعد تثبت وتيقن.

وعــدت، وبــدأت الطريق من أوله، وقضيت أربع سنوات أخرى، خــرجت مــنها بهــذا الــبحث لدرجــة (الدكتوراه)، وأنا مقتنع بأن هذا الموضــوع الــذي أبحــثه هــو الخطوة الأولى الصحيحة التي تسبق كل خطــوة غيرها – في سبيل دراسة الشعر الجاهلي، وأن بحث هذا الشعر بحــثاً مجــدياً لا يــتم إلا عن طريق دراسة خارجية أولاً، تعنى بمصادر جملــة فــي مجموعها، وتبحث رواية هذه المصادر وتسلسلها، ورواتها ومــدى الــثقة بهــم، ثــم تتبع المصادر الأولى التي استقى منها أولئك الــرواة، خطــوة خطوة، حتى تصل بين هؤلاء الرواة والشاعر الجاهلي نفســه، وكل دراسة قبل هذا إنما هي تجاوز عن الأصل الأول الذي لا بد مــن الــبدء بــه، وأحسب أن كثيراً من الخطأ الذي وقع فيه من ضعفوا وســيلة حفظ هذا التراث الخالد، ووصفوا طريقة نقله وروايته، إنما أتوا مــن هــذا الــتجاوز والإغفال لنقطة البدء الصحيحة. كان هذا بعضاً من عشــق كامل للشعر أحسه الدكتور ناصر الدين الأسد الذي ولد في مدينة العقــبة في الأردن في سنة ١٩٢٢، وبعد أن بدأ حياته التعليمية بالكتّاب ثــم المدرســة الابتدائــية، التحق بالكلية العربية حيث حصل منها على الشــهادة الثانوية الإنجليزية (المتريكيوليشن) سنة ١٩٤١، وبعد سنتين

حصـــل علـــى دبلـــوم التـــربية والتعليم من نفس الكلية، ثم التحق بكلية الآداب بجامعـــة القاهـــرة وحصـــل مـــنها على الليسانس الممتازة سنة ١٩٤٧ وتابـــع دراســـته العلـــيا فـــيها فحصل على الماجستير في سنة ١٩٥١، وكـــان موضـــوع الرسالة والبحث المقدم بعنوان "القيان وأثرها في الشعر العربي في العصر الجاهلي". ثم حصل على الدكتوراه في سنة ١٩٥٥ عـــن بحـــثه المقـــدم بعـــنوان "مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخـــية"، ولا يقـــف البحث عند حدود الجاهلية، وإنما يتجاوزها حتى يشـــمل القـــرون الثلاثة الأولى للهجرة. ثم عين مدرساً فأستاذاً مساعداً فأســـتاذاً بالجامعـــة العربية، وأسهم في تأسيس الجامعة الأردنية، وعمل عمـــيداً لكلـــية الآداب بهـــا، ثـــم رئيساً للجامعة الأردنية، كما شغل عدة مناصـــب قيادية في الإدارة الثقافية بالجامعة العربية، إلى أن عين مديراً مســـاعداً للمـــنظمة العـــربية للتربية والثقافة والعلوم، ثم مديراً لها بعد ذلـــك. وانـــتخب لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة في سنة ١٩٧٣، فـــي المكـــان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ قدري حافظ طوقان، وهو عضـــو بمجمع اللغة العربية الأردني، كما أنه الآن رئيس للمجمع الملكي الأردني لبحوث الحضارة.

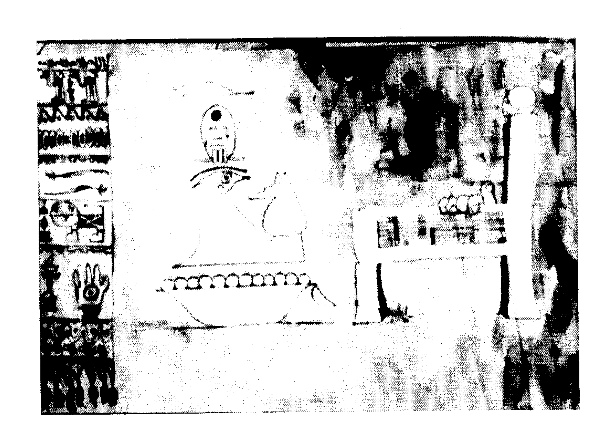
وللدكـــتور ناصـــر الـــدين الأســـد نشاط علمي وافر، فإلى جانب مقالاتـــه وبحوثه التي تزخر بها الدوريات العربية، له عدة مؤلفات يغلب علـــيها طابـــع الـــبحث في مجال الحياة الأدبية في عصر الجاهلية، إلى جانـــب طابع الأدب الحديث. وقد حقق ديوان "قيس بن الخطيم"، وديوان شـــعر "الحـــادرة"، كمـــا كتب عن الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، وعـــن الشعر الحديث في فلسطين والأردن، وعن "خليل بيدس"

رائــد القصة العربية الحديثة في فلسطين، وعن "محمد روحي الخالدي" رائــد الــبحث التاريخــي الحــديث فــي فلسطين. كما كتب عن "قصص الكيلانـــي للأطفــال"، وعــن "فلســفة الاستعمار"، وعن "الثورة العربية الكبرى والأدب".

كمـــا شارك في ترجمة كتاب جورج أنطونيوس عن "يقظة العرب" عــن الإنجليــزية. ويــتابع الدكتور نصر الدين الأسد نشاطه المجمعي، ويــواظب على شهود مؤتمر المجمع وإلقاء بعض الأبحاث فيه، وحضور مناقشـــة المـــواد التي تعرض على المؤتمر، وقد قال عنه الدكتور مهدى عــلام يوم استقباله: "فقد قضت التقاليد المجمعية أن يذكر مستقبله شيئاً عــن حياته العلمية، ولولا ذلك لكان الدكتور ناصر الدين الأسد في غنى عــن أن أقول عنه أكثر من قولي: مرحبا بك أيها الزميل الجديد في حرم المجمع عضواً نعتز بزمالته".

حسن الفاتح قريب الله

الذي رأى الله بجوهرة البصيرة



حسن الفاتح قريب الله

كـــان قـــد تـــرك مدينته "أم درمان" كي يسافر في بحور من العلم والتصـــوف، وليـــرى فـــي العـــالم طرفين مختلفين من حيث النظر إلى الوجـــود: طـــرف مـــنها يتمثل في الشرق الأقصى، كما يتمثل الآخر في الغرب، وبينهما وسط يجمع بين طابعيهما معاً هو الشرق الأوسط.

فالشـــرق الأقصى طابعه النظر إلى الوجود الخارجي ببصيرة تنفذ خـــلال الظواهـــر الـــبادية للحـــس إلى حيث الجوهر الباطن، فيدرك ذلك الجوهـــر بحـــدس مباشـــر يمـــزج ذاته في ذاته مزجاً تغني معه الفردية لتصبح قطرة من الخضم الكوني العظيم.

أمـــا الغـــرب فطابعـــه النظـــر إلى الوجود الخارجي بعقل منطقي تحليلـــي ليقف عند الظواهر مشاهداً وهي تطرد وتتابع على هذه الصورة أو تلـــك، فـــيجعل من هذه الاطرادات في الحدوث قوانين يستخدمها بعد ذلك في استغلال الظواهر الطبيعية.

وهـــذا مـــا جعل الشرق فناناً يدرك الحقيقة بذوقه، والغرب عالماً يـــدرك الحقائـــق بالتجـــربة والتحلـــيل، ولقد التقى الطرفان في الشرق الأوســـط طـــوال عصـــوره التاريخية، تلك التي تجاور فيها الدين والعلم معـــاً، كما تجاور الفن والصناعة. هذا ما شاهده وشهد به "حسن الفاتح قريب الله" في بحر العلم والتصوف.

ولـــد حســـن الفاتح قريب الله في سنة ١٩٣٥ بمدينة أم درمان، حفظ القرآن بروايتي حفص وأبي عمر الدوري في سن عشر سنوات ثم

التحق بالمعهد العلمي بأم درمان – وهو على نمط الأزهر بمناهجه الدراسية، وبعد أن أكمل الثانوي العالي، التحق مساءً بجامعة القاهرة فرع الخرطوم، وصباحاً بما يسمى حالياً جامعة أم درمان الإسلامية، وتخرج فيها في سنة ١٩٦١، ثم التحق بجامعة الخرطوم حيث أحرز درجة الشرف من كلية الآداب، وحضّر رسالة الماجستير عن التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفونج (مملكة من ممالك السودان القديمة) وإليها يرجع انتشار الإسلام بالسودان. بعدها عين مدرساً بجامعة أم درمان الإسلامية، وأرسل للتحضير لدرجة الدكتوراه ببريطانيا حيث أحرز الدرجة في سنة ١٩٧٠ والتي كان عنوانها (دور الغزالي في الفقة والسنة). ثم عاد بعد ذلك للتدريس بكل من جامعة أم درمان الإسلامية التي بعث منها وجامعة القاهرة فرع الخرطوم في قسم الفلسفة واللغة العربية، ثم بعد ذلك ذهب إلى فرنسا في إجازة دراسية استغرقت عاماً كاملاً حيث درس اللغة الفرنسية ثم عاد إلى السودان.

وقد تقلد خلال عمله بالجامعة عدة وظائف إدارية وأكاديمية حيث كان نائباً لرئيس قسم أصول الدين، ثم رئيساً للقسم نفسه، ثم رئيساً لقسم الفلسفة والدراسات الاجتماعية، ثم أميناً لمجلس كلية الدراسات الاجتماعية، ثم عميداً لكلية الآداب، ثم عميداً لكلية الشريعة والعلوم الاجتماعية، ثم مديراً لجامعة أم درمان الإسلامية، وبعدها استقال من العمل الإداري للتفرغ لشيءون الطريق الصوفي بعد أن مات والده وأصبح خليفة للطريقة السمانية.

وعلى الرغم من كثرة الأعمال التي لحقت به كشيخ للطريقة إلا أنه استطاع أن يؤلف أكثر من خمسين كتاباً بعضها بالإنجليزي والآخر

بالعربـــي، بالإضـــافة إلى مجموعة من المقالات التي نشرها في الجرائد السـودانية وغيـر السودانية، ومن بين تلك المؤلفات: الحياة العقلية في الفلسـفة الإسـلامية – الـنظم والمظاهر الحضارية عند العرب، والذي يتـناول فـيه الشعر العربي أحد روافد تاريخ الحضارة العربية، ثم كتابه دور الغزالـي فـي الفكـر، تأثيره في الفكر العربي والغربي كأحد رواد الفلسـفة الإسـلامية، ثـم كتابه دور الغزالي في الفقه والفلسفة، وكتابه عـن جرير مدينة الشعر، ثم كتاب ضم مجموعة من البحوث والمقالات، وكـتاب التوسـل بالأنبـياء والصـالحين، وكتاب آخر عن التبرك بآثار الأنبياء والصالحين. هذا بعض مما كتبه حسن الفاتح قريب الله.

كـرمته مصـر باختياره عضواً في مجمع اللغة العربية في سنة ١٩٧٥، كمـا مـنحه الرئيس محمد حسني مبارك وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ليكون أول أفريقي حصل على هذا التكريم.

والدكـتور حسـن الفـاتح قريب الله عضو مراسل لمجمع اللغة العـربية فـي دمشق، كما اشترك في عدد كثير من المؤتمرات والندوات المحلـية والعالمية، منها رمضانيات الحسن بالمغرب، والجامعة الصيفية، وقـد اسـتدعته حكـومة الإمارات في رمضان عام ١٩٩٣ لإلقاء بعض المحاضرات بكل من دبي والعين وأبو ظبي.

يـرى قـريب الله الغزالـي حـدّاً فاصلاً بين نوعين من الفلسفة: الأولـى فلسـفة متأثـرة باليونانية، والثانية فلسفة إسلامية خالصة من شـوائب التأثيـر بالفلسـفة اليونانية. فابن سينا والكندي والفارابي هم فلاسـفة مسـلمون غيـر أن فلسـفتهم لا تعبـر عن الفلسفة الإسلامية الخالصـة، أمـا مـن يمثل تلك الفلسفة فهم الغزالي والرازي ومن حذا

حـذوهما مـن الفلاسـفة، أمـا عـن ابن رشد فيرى قريب الله أنه من المنبهرين بالفلسفة الغربية والمتأثرين بها.

كمـا يـرى أن جهـل البعض بالتصوف كفكر علمي وعملي يقوم علـى القـرآن والسنة، جعلهم يقفون منه مواقف متعددة؛ فالأولى فرقة تتعصـب للتصوف كعمل ولم تتعب نفسها في محاولة دعم العمل بالعلم، والأخـرى متشـددة تـنأى عـن التصوف علماً وعملاً وتصيدت أخطاء الـبعض فكفـرت الصـوفية، والفرقة الثالثة علمت أن التصوف جوهر الإسلام وأساسه ومن ثم عملت على الكتابة في التصوف والعمل به.

ويـرى قريب الله أن من بين القضايا التي أثارها أعداء التصوف قضـايا فلسـفية مـثل الاتحاد والوجود، وهي قضايا خاض فيها للأسف عامـة الـناس مـع أنهـا قضايا عميقة لا يمكن أن يفهمها إلا قلة من الدارسين للفلسفة المتشبعين بتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فلكـل قـوم لغة؛ فللغويين اصطلاحاتهم، وللمناطقة اصطلاحاتهم، ولأصـحاب كـل فن الاصطلاح الخاص بهم، ومن ثم فلا غرابة أن يكون للصوفية رموزهم واصطلاحاتهم الخاصة بهم.

إصدارات



اسم الكتاب	المؤلف
باب البحر	عبد الله السيد
الملاح الطائر	أميري بركة (ترجمة د./ محسن عباس)
العبد	أميري بركة (ترجمة د./ محسن عباس)
ذات الهمة (أربعة أجزاء)	عبد الله السيد
ونس	محمد الحسينى
عباد الضل	محمد الحسينى
صندوق الحزن	محمد الحسينى
غرفة السر	محمد الحسينى
مس الكلام	محمد الحسينى
طفل الفجر	جوتاما شوبرا (ترجمة / ظبية خميس)
لينا والبرتقال	سليمان نزال
صاحب القلنسوة	حياة الحضرى
دراما اللوحة	أ. د. / مصطفى يحى